كتاب

الدرّ النظيم

في

التاريخ القديم

تاليف

المعلم ابرهيم سركيس
عُني عنهُ

بيروت ١٨٧٥

مقدّمة

الحمد لله القدير القهار . المخضع لسلطانهِ جميع الممالك والشعوب في كل الازمان والادوار . اما بعدُ فيقول كاتب هذه الرسالة الفقير اليهِ تعالى ابرهيم سركيس انهُ لما كانت معرفة فن التاريخ لاسيما القديم منهُ ضرورية وكان اكثر ما أُلِّف فيهِ لا يُعوَّل عليهِ لعدم صحتهِ اعتمدتُ في هذا المختصر على ذكر الاخبار الصحيحة اللازمة مقتطفًا اهمَّ فوائدهِ من مطوَّلٍ لاستاذي العلاَّمة الدكتور كرنيليوس ڤنديك الاميركاني وقد قسمتهُ الى فصولٍ لسهولة المراجعة وسميتهُ بالدر النظيم في التاريخ القديم فجاء بحولهِ تعالى كتابًا مفيدًا في بابهِ وعلى الخصوص لتلامذة المدارس

وانا التمس ممن يقف عليهِ ان يسبل ذيل
المعذرة على ما يرى فيهِ من الخطأ
فان الكمال لله وحدهُ

وهو حسبي
وكفى

الفصل الاول

في تعريف التاريخ واصوله

التاريخ هو ذكر الحوادث السالفة واصوله ثمانية . الاول تصانيف المصنفين الذين عاشوا في وقت وقوع الحوادث التي يذكرونها كاخبار اكزنيفون عن كورش وكتصانيف قيصر في ما حدث تحت نظره وكجزء من تاريخ الامير حيدر الشهابي وهذه اصح التواريخ كلها. ومثلها المكاتبات التي جرت بين الملوك ورؤساء الدول واصحاب الوظائف والعمّال والشروط الاتفاقية المقامة بين دول اوشعوب مختلفة المحفوظة في المكاتب الحكمية او بين تذاكر الدول

الثاني الاحاديث المنقولة اي الاخبار غير المكتتبة المنقولة من شخص الى آخر في ازمنة متتابعة ولا يوثق به الا اذا سلم من مخالفة المكتتب واستعملت هذه الاحاديث في العصور القديمة قبل اختراع صناعة الطبع والنقش والتصوير وبين الجهلة غير المتمدنين ومنها اخذ هيرودوط المؤرخ اليوناني اكثر اخباره عن المصريين القدماء اي نقلاً عن السنة كهنتهم وشرفائهم

الثالث الاشعار التاريخية عند اكثر الشعوب التي يُذكر فيها كثير من حوادث العصور التي نُظِمت فيها ومنه اشعار اوميروس اليوناني التي منها اخذ اكثر المورخين اقوالهم عن

اوائل اليونانيين

الرابع الآثار القديمة كالعواميد والرجم والروابي والتلال المصنوعة بالايادي واستُعمِلت غالبًا عند اقوام عديمي التمدن لابقاء ذكر حوادث معتبرة جرت بينهم

الخامس خرابات اماكن قديمة ورسومها كخرابات مصر وبعلبك وتدمر الدالَّة على غنى صانعيها ومهارتهم وقوة دولهم

السادس اسماء بلاد ومدن سُمِّيت باسماء مؤسسيها

السابع الدراهم القديمة واشكالٌ مسكوكة من ذهب وفضة أُرِّخ عليها اسماء الملوك الذين ضُرِبت بامرهم او الحادثة التي كانت سببًا لضربها وقد وُجِد كثيرٌ منها في اماكن مختلفة واقدمها ما صُنِع في القرن الخامس قبل المسيح

الثامن الكتابة والاحرف والاشارات المنقوشة على حجارة وعواميد وقطع من المرمر ومن اشهر هذه الكتابات ما وجدها في بلاد الروم احد اكابر الانكليز اسمهُ ابرلْ أَرُونْدَل وهي قطع قديمة من مرمر عليها كتابة تاريخية في اللغة اليونانية فاخذها ووضعها في مدرسة اوكسفورد وسميت باسمهِ المرمرات الاروندلية وسميت ايضًا تاريخ فاروس لزعمهم انها كتبت في جزيرة فاروس ويُذكَر فيها بعض حوادث ولاية اثينا من سنة ١٥٨٢ الى ٢٦٤ ق م

الفصل الثاني

في اقسام التواريخ

يُقسَم التاريخ باعتبار الزمان الى قديم وحديث اما التاريخ القديم فيتضمَّن تاريخ العالم منذ الخليقة الى عصر كرلوس مانوس سنة ٨٠٠ مسيحية واما الحديث فمن سنة ٨٠٠م الى الوقت الحاضر. ثم ان العصور الواقعة بين القرن الخامس والقرن الخامس عشر مسيحية اي بين زمان انقلاب المملكة الرومانية في الغرب وانقلابها في الشرق تُسمَّى العصور المتوسطة وسُميت ايضاً العصور المظلمة لتوغُّل بلاد اوروبا حينئذٍ في الظلمة والجهالة . ومن اهم التاريخ القديم ذكر حوادث ممالك اشور وبابل وفارس ومادي والروم او مكدونية واللاتينية او الرومانية ومن اهم وقائع العصور المتوسطة ظهور الاسلام وحروب العرب وامتدادهم ومحاربتهم الافرنج. ومن اهم امور التاريخ الحديث ذكر الاختراعات والاكتشافات المستجدة كصناعة البارود والتغيير الحاصل من ذلك في قوانين الحرب وانتشار صناعة الطبع واكتشاف الابرة المغنطيسية المعروفة بالحك واكتشاف قارة اميركا. ومنها ايضاً الاصلاح الديني الذي حدث في بلاد اوروبا عند ما تنورت العقول وتبددت الظلمة التي كانت محدقة بها وذاك بتكثير الكتب وايجاد الوسائط لتحصيل المعرفة بواسطة الطبع

ويُقسَم التاريخ باعتبار موضوعهِ الى مقدس وغير مقدس والى كنائسي ودوليّ . اما التاريخ المقدس فهو ما يوجد في الاسفار المقدسة وهو اقدم سائر التواريخ اذ يبتدي من خليقة العالم ق م ٤٠٠٤ سنين ولا يوجد سفرٌ آخر ينبئنا بحوادث القرون الأُوَل . وكل ما ورد في تلك الازمنة في كتب المورخين الحقيقيين قد أُخِذ من الاسفار المقدسة . واما التاريخ غير المقدس فهو ما يتضمن الاخبار عن حوادث الامم القديمة واكثرهُ موجود في تصانيف اليونانيين والرومانيين واقدم التصانيف الباقية الى ايامنا هذه هو تاريخ هيرودوط اليوناني أُلِف ق م ٤٤٥ تقريبًا وهو مشتمل على كل ما علم في عصرهِ عن الفرس واليونانيين ويحتوي حوادث ٢٣٤ سنة تقريبًا اي من ٧١٢ الى ٤٧٩ ق م . فبقي بين مبتدا تاريخ هيرودوط والخليقة ٣٣٠٠ سنة ليس لنا فيها تاريخ يوثق بهِ الاَّ ما ذُكر في الكتب المقدسة واما ما ذكر في التواريخ غير المقدسة من حوادث تلك الازمنة فهو من الحديث المنقول من قرن الى قرن ولا يوثق بصحتهِ . ومن اصرح هذه التواريخ واكثرها اعتبارًا تواريخ اليونانيين والرومانيين . اما حوادث العصور المظلمة فظلمة ايضًا لقلة وجود وسائط المعرفة . اما التاريخ الكنائسي فهو ذكر امور الكنيسة المسيحية وما يتعلق بها منذ انتشائها الى الوقت الحاضر . والتاريخ الدولي هو ذكر الممالك والولايات والدول التي اشتهرت في العالم باعتبار قيامها

ورؤسائها وقوانينها وحروبها وتقلباتها وتلاشيها وهلمّ جرًّا

الفصل الثالث

في التاريخ المقدس

ان الاسفار التاريخية من الكتب المقدسة تختص باليهود على الغالب وفي هذا الموضوع تأليفٌ آخر ليوسيفوس المؤرخ اليهودي الذي عاش في زمان اخراب الرومانيين اورشليم سنة ٨٠ مسيحية

ان اليهود من نسل ابرهيم الذي دُعي سنة ١٩٢١ قبل المسيح ليترك قبيلته وارض ميلاده وبيت ابيه تك ١٢ ووُعِد بأنّ المسيح يأتي من نسله. وتسمى اليهود عبرانيين من عابر تك ١٠: ٢٤ واسرائيليين من يعقوب الذي دُعي اسرائيل ايضاً تك ٣٢: ٢٨ ويهوداً من يهوذا بن يعقوب وهو جد سبط يهوذا الذي كان له التقدم بين الاسباط الاثني عشر. ثم ان يعقوب وبنيه وعيالهم وهم سبعون نفساً انحدروا من ارض كنعان الى مصر سنة ١٧٠٦ ق م واستعبد المصريون نسلهم ٢١٥ سنة ثم اخرجهم الله عن يد موسى وبعد ما تاهوا في البرية اربعين سنة دخلوا ارض كنعان وملكوها تحت قيادة يشوع بن نون ومنذ دخولهم ارض كنعان الى ملك شاول وهي مدة ٣٥٦ سنة حكم عليهم اربعة عشر قاضياً بالتتابع وهم

الاول عثنيئيل بن قناز اخو كالب من سبط يهوذا. الثاني

اهود البنياميني رجلٌ اعسر. الثالث شمجر بن عناة. الرابع باراق بن ابينوعم من نفتالي ومعهُ دبورة النبية. الخامس جدعون بن يوآش الابيعزري ويقال له يربَّعل. السادس تولع بن فواة بن دودو من يساكر. السابع يائير الجلعادي من منسى الشرقي. الثامن يفتاح الجلعادي من منسى الشرقي ايضاً. التاسع ابصان من بيت لحم. العاشر ايلون الزبولوني. الحادي عشر عبدون بن هلّيل الفرعتوني. الثاني عشر شمشون بن منوح من سبط دان. الثالث عشر عالي الكاهن. الرابع عشر صموئيل النبي وفي زمان صموئيل طلبوا ملكاً فاعطاهم الله شاول بن قيس من سبط بنيامين ثم عزلهُ واقام لهم داود ملكاً وبلغ زهوهم الى الدرجة العظمى في زمان ملك داود وسليمان ابنهِ. ثم في ملك رحبعام بن سليمان عصى عشرة اسباط آلَ داود واقاموا عليهم ملكاً يربعام بن نباط وبقي ملك سبطي يهوذا وبنيامين بالتوارث في آل داود الى وفاة يوشيا وفي ملك ابنهِ يهوياقيم اتى بختنصر ملك بابل واخضع اليهود تحت سلطانهِ. وفي ملك صدقيا استاسر ملك بابل اكثر اليهود ونقلهم الى بابل وكان ذلك سنة ٦٠٦ ق م وبقوا هناك سبعين سنة الى السنة الاولى من ملك كورش ملك فارس سنة ٥٣٦ ق م ٢ مل ٢٥. واما العشرة الاسباط فاسرهم ملك اشور سنة ٧٢١ ق م ولا يُعلم عنهم شيء بعد ذلك. اما الذين انتقلوا الى بابل فرجع البعض من نسلهم الى

اورشليم ورمموا المدينة والهيكل (انظر نحميا وعزرا وزكريا) وكانوا حينئذٍ تحت تسلط الفرس ثم اخضعوا لملوك مصر ثم لملوك دمشق ثم حرّرهم المكابيون الذين حكموا الى سنة ٦٣ ق م حين اخضعهم بمبوس القائد الروماني ولتمردهم على الرومانيين وكثرة فتنهم ارسل وسباسيانوس قيصر ابنهُ تيطس بالجيوش الرومانية فحاصر اورشليم واستفتحها سنة ٧٠ ب م وحرقها وفرّق اليهود الى اقطار المسكونة ولم يزالوا الى الآن متفرقين تحت ثقل اللعنة التي دعوا بها على نفوسهم حين قالوا لبيلاطس اذ اراد ان يطلق يسوع دمهُ علينا وعلى اولادنا

جدول يتضمّن اسماء ملوك يهوذا واسرائيل

الملوك الذين قاموا قبل انقسام المملكة

١ شاول بن قيس من سبط بنيامين

٢ داود بن يسى من سبط يهوذا

٣ سليمان بن داود

ملوك يهوذا واسرائيل بعد الانقسام

ملوك يهوذا	ملوك اسرائيل
١ رحبعام بن سليمان	١ يربعام بن نباط
٢ ابيام	
٣ آسا	

ملوك يهوذا	ملوك اسرائيل
	٢ ناداب بن يربعام
	٣ بعشا بن اخيا من يساكر
	٤ ايلة بن بعشا
	٥ زمري
	٦ عمري
	٧ آخاب بن عمري
٤ يهوشافاط بن آسا	
٥ يهورام	
	٨ اخزيا بن آخاب
	٩ يهورام بن آخاب
٦ اخزيا بن يهورام	
عثليا ملك ست سنين	١٠ ياهو بن نمشي
٧ يوآش بن اخزيا	
	١١ يهوآحاز بن ياهو
	١٢ يوآش بن يهوآحاز
٨ امصيا بن يوآش	
	١٣ يربعام الثاني
٩ عزريا بن امصيا	
	١٤ زكريا بن يربعام
	١٥ شلوم بن يابيش

ملوك يهوذا	ملوك اسرائيل
	١٦ مناحيم بن جادي
	١٧ فقحيا بن مناحيم
١٠ يوثام بن عزيّا	١٨ فقح بن رمليا
١١ احاز بن يوثام	
	١٩ هوشع بن رمليا
١٢ حزقيا بن آحاز	

ملوك يهوذا بعد انقراض مملكة اسرائيل

١٣ منسى بن حزقيا

١٤ آمون بن منسى

١٥ يوشيا بن آمون

١٦ يهوآحاز بن يوشيا

١٧ يهوياقيم بن يوشيا

١٨ يهوياكين بن يهوياقيم

١٩ صدقيا بن يوشيا

الفصل الرابع

في تاريخ مملكة الصين

لا ريب ان الصين من اقدم ممالك العالم فان تاريخها قد امتد ٢٢٠٠ سنة ق م وزعم الاكثرون ان مملكة الصين اسسها احدى الجمعيات التي حدثت عند تبدد اولاد نوح

تحت مناظرة باهو الذي خلفهٔ كون وقبل في تاريخ ايضاً ان فوحي اي نوح نفسهٔ هو موسس هذه المملكة

وزعم الصينيون انهم اقدم مما قلنا هنا وهذه التوهمات انما هي من تاثير الافتخار بالوطن . وابتدأ اول ملوكهم ق م ٢٢٠٧ . اما طريقة سياستهم الاصلية فكانت مشيخية لان كل ابي عائلة كان يجب ان يطاع بكل تدقيق لانهٔ كان مطلقاً بعائلتهِ فامكنهٔ ان يقاصّ باي قصاصٍ شاءهُ ما عدا الموت . وكان عند الصينيين القدماء بعض العلوم لكنهم لم يتقدموا فيها من قرنٍ الى قرنٍ كالتعليميات والهيئة والطب ويظهر انهم كانوا جهلاء للغاية نظراً للشعوب المتمدنة مثلهم كل هذه المدة فكانت معرفة الطب عندهم قاصرة للغاية واما في الصنائع فوصلوا في مدة باكرة الى درجة من التقدم لم يزيدوا عليها بعد ذلك شيئاً وقيل انهم كانوا يصنعون الزجاج وقد اخترعوا صناعة الطبع وعرفوا البارود قبل التاريخ المسيحي . فهذه وما اشبهها من الاختراعات كانت في درجةٍ ناقصة للغاية ولم تزل كذلك الى الآن . واما صناعة الفلاحة فقد اشتهروا فيها وفي بعض الصنائع من قديم الزمان . وسكان هذه المملكة اكثر عدداً مما سواها على وجه الكرة وعددهم ٣٥٠٠٠٠٠٠٠ نحو ثلث الجنس البشري

ومن غرائب هذه المملكة سورها المشهور الذي لم يزل الى الآن ارتفاعهُ عشرون ذراعاً وسمكهُ ٩ اذرع وهو يمتد الى مسافة

١٤٠٠ ميل بناهُ الملك سيهوانتكي الذي عند فراغهِ من بنائهِ افتخر على من تقدمهُ من الملوك. واذ اراد ان يمحو اخبار الاولين ومن سلفهُ من الملوك ويظهر للمتاخرين انهُ هو اول ملوك الصين امر باعدام المورخين وقيود المملكة فامر في يوم واحد بدفن ٤٠٠ رجل من العلماء وهم احياء. ثم امر بحرق الكتب والتواريخ الموجودة في خزائن المملكة

الفصل الخامس

في تاريخ المصريين القدماء

اننا نرى في تك ١٠: ٦ ان حام بن نوح كان لهُ ابنٌ اسمهُ مصرايم ويُظَنّ ان مصر تسمت منهُ. وكانت مملكة شهيرة في عصر ابرهيم سنة ٤٢٠ بعد الطوفان وكانت في عصر يعقوب منقسمة الى اقسام او مقاطعات ولملكها اصحاب مشورة في امور المملكة وتحتهُ رتبٌ ووظائف شتى لتدبير المصالح وسجونٌ لقصاص المذنبين وكهنة لهم ارزاقٌ موقوفةٌ وكان لها ايضاً تجارةٌ وصنائع ومعامل مختلفةٌ مما يدلُّ على تقدمها في رتبة التمدن على بقية شعوب تلك الازمنة ويؤيد ذلك ما قالهُ هيرودوط اي انهُ كان في مصر في عصر الملك اماسيس سنة ٥٥٩ ق م ٢٠ الف مدينة عامرة

وانقسمت مصر القديمة الى ثلثة اقسام كبرى

الاول مصر العالية اي الصعيد وسميت ايضاً بلاد ثيبة لوقوع مدينة ثيبة فيها

الثاني مصر المتوسطة كانت عاصمتها مدينة ممفيس

الثالث مصر السفلى المشتملة على أرض جاسان ومثلث النيل

اما مدينة ثيبة فخربت قبل مبتدأ التواريخ التي يُوثَق بها ولولا الرسوم والخرابات العجيبة الباقية الى الان لما امكن التصديق بما قيل عن عظمتها وبهجتها وهي مذكورة في اشعار اوميروس الذي عاش ق م ٩٠٠ سنة وقيل انهُ كان لها مئة باب وكان عدد سكانها كثيراً جداً حتى انها ارسلت من كل باب مئتي مركبة وعشرة الاف مقاتل ولعل ذلك من مبالغات الشاعر. وبُنِيت على جانبي النيل وكان طولها اثنين وخمسين ميلاً وكانت في اعظم زهوتها سنة ١٢٠٠ ق م وذلك في آخر حكم القضاة على بني اسرائيل. قال هيرودوط المؤرخ اليوناني انهُ كان باقياً في ذلك الوقت اثار اربعة هياكل طول اعظمها ١٢٠٠ اقدم وعرضهُ ٤٠٠ قدم وخرابات المدينة مشتتّة في مسافة محيطها سبعة وثلاثون ميلاً ولم يزل كثيرٌ من هذه الخرابات باقياً الى ايامنا

اما مصر المتوسطة فكانت قاعدتها مدينة ممفيس مبنية على الشط الغربي من نهر النيل حذاء موقع القاهرة وبقربها الاهرام الثلثة الكبيرة التي بُنِيت حسب ظن الاكثرين بين ١٠٠٠ و ٢٠٠٠ سنة ق م وهي مدافن لملوك مصر قبل اقتضى

لبناء اكبرها ثلثون سنة واشتغل بهِ عشرة الاف عامل وتبادلوا كل ثلثة اشهر ولم تزل هذه الاهرام باقيةً الى الآن. ومن غرائب هذا القسم بركة كبيرة مصنوعة بالايادي قيل احتفرت بامر الملك ميريس ق م ٢١٠٤ سنين ويعاصر ذلك ناحور جد ابرهيم وكان محيطها ٣٠ الف ذراع والقصد باحتفارها جمع مياه النيل عند فيضانهِ لاجل سقي الارض عند الاحتياج لذلك. وكان في مصر كثيرٌ من العواميد العالية منقوشة بكتابات واشارات وعلامات سرية في القلم المصري القديم لم يعرفها الا الكهنة المصريين الذين كانوا اصحاب العلوم واسرار ديانتهم واخذ الملوك القياصرة عمودين منها الى رومية. ويُرى الآن في مقالع بلاد الصعيد عواميد من هذا النوع غير تامة. ثم ان القلم المصري القديم بقي مجهولاً الى سنة ١٨٢٢ م حين حلَّهُ شامبوليون الفرنساوي فصارت تُقرأ اسرار ديانة المصريين القدماء واخبار حوادث كثيرة جرت بينهم في الحجارة والعواميد واللفائف التي لفُّوا بها موتاهم. وهنا يجب ان نذكر الترعة الجامعة بين نهر النيل والبحر الاحمر ابتدا بحفرها الملك سيسوستريس فمات قبل اتمامها ثم قصد اتمامها فرعون نخو وكفَّ عن العمل لما اخبرهُ الفال ان البرابرة يدخلون مصر بها. ولما خضعت مصر للفرس قصد الملك داريوس اتمامها فكفَّ عنها خوفًا من فيضان ماء البحر الاحمر على مصر كلها. ثم كملت اخيرًا في عصر الدولة البطليموسية

قيل كان عرضها مئة ذراع وعمقها كافيًا لاعظم مراكب تلك الازمنة وطولها بين سبعين وثمانين ميلاً وهي الآن مردومةٌ باقٍ رسمها فقط

واما مصر السفلية فمبداها عند انقسام النيل الى شطرين بمكانٍ يُسمَّى الآن بطن البقرة شطرٌ يصبُّ في البحر المتوسّط بقرب مدينة دمياط والآخر بقرب مدينة رشيد والمثلث المصنوع بشطري النيل وريف البحر يُسمَّى الآن البحيرة وسُمّي قديمًا الدلتا لشبهه حرف Δ الدال عند اليونانيين ومن مدن هذا القسم القديمة الشهيرة هيليوبوليس اي مدينة الشمس والاسكندرية وطانيس التي سكنها بنو اسرائيل وبيلوسيوم المسمَّاة الآن دمياط وروسنَّة المسمَّاة الآن رشيد وقيل ان هاتين هما فيتون ورعمسيس اللتان بناهما بنو اسرائيل خر ١: ١١. اما الاسكندرية فلم تكن ذات اعتبار حتى جدَّدها وزيَّنها اسكندر ذو القرنين وكانت في ايام زهوتها اعظم مدن العالم تجارةً ومركزًا للعلوم واشتملت مكتبتها على سبع مئة الف مجلد فاحترقت جميعها

الفصل السادس

في حكم المصريين القدماء وشرائعهم

كان حكم المصريين القدماء من نوع الملكي المتوارث غير انه لم يكن لملوكها التصرُّف المطلق اذ كانوا مقيَّدين ببعض الشرائع وبوجاهة الكهنة الذين كانوا اصحاب مشورة الملك وعيَّن

لهم معاش من خزنة المملكة ولهم ثلث الارض كلها وكانوا ايضاً اصحاب الوظائف وحافظي تذاكر الدولة واسرار الدين. وكانت دعاوي الشعب تُقام في ديوان من ثلاثين قاضياً ينتخبهم الملك من الثلاث مدن الشهيرة اي عشرة من هيليوبوليس وعشرة من ممفيس وعشرة من ثيبة وعند دخولهم في وظيفتهم يحتمون على انفسهم بقَسَم انهم لايخرجون عن الحق والعدل في قضائهم ولو بامر الملك ذاتهِ وعُيّن لهم معاش مدّة اقامتهم في الوظيفة لكي لا يهتمّوا بشيءٍ غير ممارسة امور وظيفتهم. وكان رئيس هذا الديوان يلبس طوقاً من ذهبٍ مرصعاً بالحجارة الكريمة ومعلقاً بهِ تمثال شخص اعمى دليلاً على الحق والانصاف. ومن قتل نفساً قُضي عليهِ بالموت ومن استطاع ان يخلص نفساً من الموت ولم يفعل قُضي عليهِ كالقاتل ومثلهُ التزوير في اليمين. ومن اشتكى على آخر زوراً قُضي عليهِ بالقصاص الذي يستوجبهُ الذنب المشتكي بهِ على الآخر. وعلى كل انسانٍ ان يقيّد اسمهُ في دفترٍ من دفاتر المملكة ذاكراً محلّ اقامتهِ ومهنتهِ وان كذب في امرٍ من ذلك قُضي عليهِ بالموت. ولاجل منع استقراض الدراهم حكم بان المستقرض يضع عند الدائن جثة ابيهِ رهناً وان مات ولم يستخلص الرهن لم يؤذن بدفنهِ. ومن افشى اسرار المملكة قُطع لسانهُ. والسارق والمزوّر قُطعت يدٌ من ايديهما والفاسق خُصي والزاني أُحرق بالنار وسومح بزواج الاخ باختهِ وهذه العادة دالّةٌ على

الظلمة المحدقة بهم مع وجود مقدار ليس بقليل من الحكمة العالمية

الفصل السابع

في ديانة المصريين القدماء وكهنتهم

ان كهنة المصريين القدماء لم يتقدم عليهم احدٌ في الكرامة سوى الملوك فقط ولم يدفعوا خراجًا على ارزاقهم وكان معاشهم من خزنة المملكة كما يتضح من تك ٤٧: ٢٢ و٢٦ وكانوا ذوي معرفة ومتفننين بجميع العلوم والفلسفة الشائعة في عصرهم فاستحقوا ان يكونوا مدبري امور المملكة وكان ايضًا في تسليمهم جميع الكتب الدينية مكتوبة بالقلم المصري القديم ومعرفتة مكتومة عن العامة. وجُعل في بعض هياكلهم تمثال شخص اصبعهُ على فيهِ اشارةً الى كون الاسرار محفوظة هناك. ولم يوجد شعبٌ اجهل من المصريين القدماء نظرًا الى عبادتهم لانهم عبدوا الشمس تحت اسم اوسيريس والقمر تحت اسم ايسيس وفضلاً عن ذلك قدموا الاكرام الديني لعدة انواع من الحيوانات والطيور والاحناش والهوام كالثور والكلب والذئب والبازي والتمساح والنمس والنجع والهرّ. ومن هذه الحيوانات ما عُبِد في مدينة وحُسِب رجسًا في اخرى فحدث من ذلك خصامٌ وعداوة دائمة بين اهل مدينة ومدينة ومن قتل احد هولاء الآلهة عمدًا قُتِل بلا رحمة ومن قتل احدها عرضًا عوقب عقابًا شديدًا والى هذا اشار موسى بقولهِ لفرعون خر ٨: ٢٦ اننا

نذبح للرب الهنا رجسات المصريين فاذا ذبحنا ضحايا المصريين وهم ينظرون فانهم سيرجموننا

وكان الفضل والاكرام الزائد للثور الذي سُمّي افيس فانهم عمروا له افخر الهياكل واكرموهُ اكرامًا زائدًا في حياتهِ . وعند موتهِ صار حزنٌ عامٌ في بلاد مصر كلها وحنّطوهُ ودفنوهُ باكرام واحتفال زائدين لم يقدموا نظيرها لملوكهم . وما زالوا يحزنون ويفتشون في ارض مصر الى ان وجدوا خليفةً له فتحوّل حزنهم الى فرح عظيم وساقوا الاله الجديد الى مدينة ممفيس بالطرب والتهليل وادخلوهُ الى هيكلهِ باحتفال يكاد يفوق التصديق . ومن ذلك اختار بنواسرائيل صورة العجل اقتداء بهم وايضاً يربعام بن نباط بعد رجوعهِ من مصر صنع عجلين من ذهب اقتداء بما رآهُ هناك من عبادة الثور. واعتقد المصريون ايضاً بالتناسخ اي ان النفوس بعد الموت تدخل الى اجساد بشرية او الى اجساد حيوانات نجسة للمجازاة وانها بعد تقلُّب عصور متعدّدة ترجع الى اجساد بشرية

الفصل الثامن

في احتفالات جنائز المصريين وتحنيط موتاهم

اهتم المصريون القدماء كثيرًا في وقاية جثث موتاهم من الفساد ولذلك حفروا تلك المدافن المتسعة وبنوا الابنية العظيمة التي قد تعجّب منها الناس في جميع العصور. وانفقوا نفقات زائدة

على تحنيط الاجساد الميتة. وكانت صناعة التحنيط إخراج دماغ التحف من المنخرين واخراج الامعاء الأ القلب والكليتين من ثقب في الخاصرة ثم غسلها بخمر النخل وردّها الى اجوافها وملء الراس واجواف الامعاء بالمرّ والقرفة وجميع انواع الاطياب والعطور ودهن الجسد بالزيوت العطرية مدة ثلثين يوماً ثم وضعه في ماء نطرون اربعين يوماً ثم لفه بلفائف مغموسة بالمرّ ودهن اللفائف من خارج بماء الصمغ للوقاية من الهواء ثم يوضع الجسد في تابوت من خشب او من حجر ويُدفع لاهلهِ فيبقونه في بيوتهم او يضعونه في مدفن ويوجد كثيرٌ من هذه الاجساد المحنطة في ايامنا وتسمى موميا. ولم يكن يؤذن بتحنيط احدٍ او دفنه الأ بعد الفحص عن حياتهِ وسيرتهِ واوصافهِ فاذا وُجدت حميدة حق له الكرامة اللائقة بالاموات والأ فيطرح خارجًا ولا فرق في ذلك بين الملوك والعوام ونرى شيئًا من ذلك بين بني اسرائيل فانهم لم يدفنوا ملوكهم الاشرار في مدافن سلفائهم. ونرى ايضاً بين الشعوب اختلافاً كليًا نظرًا للاموات فمنهم من اجتهدوا على حفظ اجسادهم كالمصريين ومنهم من احرقوها بالنار كالرومانيين ومنهم من دفنوها في التراب ولعلّ هذه العادة الاخيرة لها الفضل على غيرها

الفصل التاسع

في ملوك مصر القدماء

ان الاخبار عن ملوك مصر القدماء قلّما يوثق بها واصحها ماخوذٌ من كتب هيرودوط وديودورس . قيل ان مؤسّس المملكة واول ملوكها هو مينيس عاش ق م ٢١٨٨ تقريبًا وقيل انهُ مصرايم بن كوش بن حام بن نوح المذكور في تك ١٠: ٦ وان المملكة تسمت مصرًا منهُ . ومن خلفائهِ بوسيريس الذي بنى ثيبة في بلاد الصعيد واوخوربوس الذي بني ممفيس وميريس الذي حفر البحيرة المسماة الآن بركة قارون . وسنة ٢٠٨٤ ق م تقريبًا اتى الى مصر قومٌ غرباء قيل وافوا من بلاد العرب وقيل من فينيقية واستولوا على اكثر المملكة غير ان بلاد ثيبة بقيت تحت تسلط نسل مصرايم . وملك هولاء الملوك الغرباء على مصر مقدار ٢٦٠ سنة واذ كانوا اصلاً رعاةً دُعوا الملوك الرعاة وفي عصر احدهم انحدر ابرهيم الى مصر واصابهُ ما ذُكِر في تك ١٢: ١٠-٢٠. وقد دُعِي جميع ملوك مصر في الكتب المقدسة فراعنة

ثم اخرج اموسيس الملوك الرعاة من مصر السفلية وملك عليها . وفي زمان احد خلفائهِ بيع يوسف الى مصر ق م ١٧٢٨. واما الملك الذي استعبد بني اسرائيل فقيل انهُ فرعون رعمسيس ومن نسلهِ سيسوستريس وكان ملكًا منصورًا غالبًا فاستفتح اكثر

بلاد اسيا وجزءا من اوروبا وامتد حكمهُ من نهر الكنك الى نهر دونو ويوجد الآن بعض الآثار كالعواميد والحجارة المنقوشة يظن انها من عصره وخلفهُ ابنهُ فرعون الذي يُظَنّ ان خروج بني اسرائيل من مصر كان في عصره ق م ١٤٩١

وسنة ١٥٥٦ ق م سافر من مصر قوم تحت امر رجل اسمهُ كيكروبس فاتوا الى بلاد الموره وبنوا هناك اثنتي عشرة مدينة وكان ذلك تاسيس مملكة اثينا

وبقرب هذا العصر ايضاً وقبل سنة ١٤٥٥ ق م تقدم رجل اسمهُ كادموس من فينيقية الى الموره وادخل معهُ حروف الهجاء وصناعة الكتابة ويعاصر ذلك مدة تيهان الاسرائيليين في البرية

ثم استولى على مصر برونيوس ق م ١٢٠٤ . ثم ملك على مصر خيوبس وقيل انهُ بنى الاهرام الاربعة وانهُ عاش بين سنة ١٢٠٤ و١٠٥٤ ق م وذلك بين اخر حكم القضاة على بني اسرائيل واول ملك داود

ثم ملك على مصر ق م ١٠١٣ فرعون الذي تزوج بابنتهِ سليمان بن داود ملك اسرائيل ١ مل ٣: ١ وبعد وفاتهِ خلفهُ فرعون شيشق الذي هرب اليهِ يربعام بن نباط ١ مل ١١: ٤٠ ثم اتى شيشق هذا وحارب رحبعام بن سليمان ملك يهوذا واستفتح اكثر مدن يهوذا ونهب الهيكل ثم عاد الى مصر ٢ اي ١٢: ١— ٩. ثم ملك على مصر زارح الحبشي ق م ٩٤١ وحارب آسا ملك

يهوذا فانكسر المصريون وانتهب عسكرهم ٢ اي ١٤: ٩ — ١٢.
ثم ملك على مصر ق م ٧٢٤ سوا الحبشي الذي استغاث بهوشع
ملك اسرائيل على شلمناسر ملك اشور ٢ مل ١٧: ٤. ثم ملك
بعدهُ صائون بن سواق م ٧١٩ وكان ملك الحبش وقتئذٍ تراق
فاستغاث بهما حزقيا ملك يهوذا على سنحاريب ملك اشور
الذي انتصر عليهما وتبعهما الى مصر ونهبها وخربها كما تنبأ اشعيا
انظر ٢ مل ١٩ واش ١٨ — ٢٠ و ٣٠ و ٣١. وبعد وفاة صائون
ملك على مصر تراق المذكور انفًا وهو آخر ملوك الحبش الذين
ملكوا على مصر. ثم انقسمت المملكة بعد وفاته بين اثني عشر من
اكابرها وملك كل واحد على قسمٍ منها مقدار خمس عشرة سنة
الى ان اتى الى مصر قوم من عساكر اليونانيين طُردوا الى هناك
بنوءٍ اصابهم في البحر فاستخدمهم احد الرؤساء المشار اليهم اسمهُ
فصمتيخوس وبمعونتهم طرد الباقين وملك وحدهُ وقبل ذلك
لم يؤْذن للغرباء ان يستوطنوا في مصر. واما فصمتيخوس فنقض
هذه الشريعة واسكن هؤلاء اليونانيين في البلاد وعيَّن لهم معاشًا
ومن ثمَّ ابتدأَت العشرة بين المصريين واليونانيين ونرى تاثير
ذلك في زيادة وضوح تاريخ مصر من ذلك الحين فصاعدًا

وتوفي فصمتيخوس في السنة الرابعة والعشرين من ملك
يوشيا وخلفهُ فرعون نخو او نخوفوقع بينهُ وبين يوشيا حربٌ
وقتل يوشيا في مدينة مجدُّو فرثاهُ النبي ارميا ٢ اي ٣٥: ٢٠ —

٢٥. ثم تقدم نيخو وحارب ملك بابل وانتصر عليهِ وعند رجوعهِ الى مصر اسر يهوآحاز بن يوشيا ملك يهوذا وملَّك عوضاً عنهُ اخاهُ يهواقيم ثم اتى عليهِ بختنصر ملك بابل واخذ جميع املاكهِ في اسيا من نهر الفرات الى مدخل مصر حسبما كان قد تنبأَ ارميا ار ٤٦: ٢ و ٢ مل ٢٤: ٧ وسبى بختنصر كثيرين من اليهود الى بابل

وبعد وفاة نيخو خلفهُ ابنهُ فصاميس وملك ست سنين ثم خلفهُ ابنهُ فرعون حفرع ار ٤٤: ٣٠ فاستغاث بهِ صدقيا ملك يهوذا على ملك بابل بعد ما نهاهُ عن ذلك النبي حزقيال فاتى بختنصر الى اورشليم وطرد المصريين الذين كانوا قد اتوا لمعونة صدقيا وحرق اورشليم ونقل اكثر اليهود الى بابل كما تنبأَ حزقيال حز ١٧: ١٥ و ٣١: ١ــ ٣ و ١٩: ٢ــ ٤ و ٢٩: ٨ و ٩ وتنبا ايضاً بالمصائب العتيدة ان تقع على مصر ص ٢٩ الى ٣٢ وقد اخبرنا المؤرخ هيرودوط انهُ حدث في مصر فتنٌ وحروبٌ كثيرة حتى ضعفت جداً . ثم اتى عليها بختنصر ملك بابل واستملكها كما تنبا حزقيال ص ٢٩ و ٣٠ وار ٤٢ وعند رجوعهِ الى بلادهِ ولّى عليها والياً من قبلهِ فتم قول حزقيال ٣٠: ١٣ حيث قال ولا يكون بعدُ رئيسٌ من ارض مصر

واما اماسيس الذي ولاهُ ملك بابل على مصر فاخضع لحكمهِ جزيرة قبرس . ثم في آخر حياتهِ انكر الخضوع على ملك

بابل وبعد وفاته خلفهُ ابنهُ قصمبتوس. وسنة ٥٢٥ ق م اتى الى مصر كمبيز بن كورش ملك فارس واخضعها تحت حكمهِ

الفصل العاشر

في تاريخ فينيقية

ان فينيقية كانت مشتملة على الاراضي الواقعة بين مصب نهر العاصي شمالاً وجبال النصيرية وجبل لبنان شرقاً وريف البحر المتوسط غرباً وحدها الجنوبي مدينة صور ومتى ذكرت فينيقية في التاريخ يراد بها السواحل الواقعة بين الجبال والبحر المتوسط من مدينة صور الى اللاذقية وسُمّي سكانها في الكتب المقدسة كنعانيين لكونهم من نسل كنعان بن حام بن نوح واليونانيون سموهم فينيقيين . وقد انقسم اولاد حام الى احدى عشرة عائلة اقواها عائلة كنعان الذي كان له ابن اسمهُ صيدون تك ١٠: ١٥ . وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي ان صيدون بن كنعان بنى مدينة صيدون التي تسمى الآن صيدا وبنى نسله مدينة صور وهاتان المدينتان من اقدم مدن العالم وكانتا مركزاً لتجارة متسعة انظراش ص ٣٢ وحزص ٢٦ — ٢٨ . وكان للفينيقيين التقدُّم على سائر الشعوب في اصطناع السفن وسلك البحر وقد انشأُوا صناعة الزجاج واشتهروا ايضاً بصناعة الاقمشة وعلى الخصوص القماش الارجواني الذي استخرجوا صباغهُ من بعض الصدف البحري فسمي الارجوان الصوري ولا يستعمل

الآن لكون الصباغ الدودي افضل منهُ وارخص . وقيل انهم هم اول من انشاوا صناعة الكتابة واخترعوا حروف الهجاء . وقد عبد الفينيقيون ذات الالهة التي عبدها اليونانيون بعدهم غير انهم غيروا اسماءها . واذ كانوا من نسل نوح فلا ريب انهم تعلموا منهُ العبادة الحقيقية لكنهم سقطوا سريعًا في العبادة الباطلة فنراهم عَبَدَة الاصنام في ايام ابرهيم ولما سقط الاسرائيليون في العبادة الباطلة عبدوا عشتاروث او الزهرة رجسة الصيد ونيين وذبحوا لها ١ مل ١١:٥

ومن مدن فينيقية ايضًا صرفتا او صرفند وبيريتوس المسماة الآن بيروت وبيبلوس او جبالا المسماة الآن جبيل وارفاد المسماة الآن ارواد وطرابلس

ونرى من الاسفار المقدسة انهُ كان للفينيقيين التقدم على سائر شعوب تلك العصور في المعامل والصنائع فطلب سليمان بن داود المساعدة من حيرام ملك صور في قطع الاخشاب والحجارة اللازمة لبناء الهيكل وكانت فينيقية حينئذٍ في اعظم زهوتها . ثم سنة ٥٨٠ ق م استفتحها بختنصر ملك بابل بعد ما حاصرها ثلث عشرة سنة وخربها . ثم عادوا اليها بعد حين وبنوا صور الجديدة على جزيرة في البحر مقابلة موقع المدينة القديمة فاتى عليها اسكندر ذو القرنين ق م ٣٣٢ ووصل الجزيرة بالبر بالقاء خرابات المدينة القديمة في البحر ثم استفتحها بعد حصار

سبعة اشهر وصارت فينيقية حينئذٍ جزءا من مملكته وبعد وفاته وانقسام ملكه انضمت الى مملكة سورية

الفصل الحادي عشر

في تاريخ مملكتي بابل واشور

قيل ان نمرود بن كوش بن حام بن نوح بنى مدينة بابل التي صارت قصبة مملكة بابل وان اشور بن سام بن نوح بنى مدينة نينوى التي صارت قصبة مملكة اشور فبُنيت بابل على نهر الفرات ونينوى على نهر الدجلة بعد تبلبل الالسنة . وعبد الكلدانيون نمرود هذا بعد وفاته تحت اسم البعل . وقيل ان اشور وبابل بقيتا منفصلتين حتى غلب نينوس على بابل وضمها الى اشور فصارتا مملكة واحدة . ونينوس هذا هو الذي زيّن مدينة نينوى ووسعها فتسمّت باسمهِ ولم يُعرَف ماذا كان اسمها قبل ذلك . وكانت في عصر يونان النبي مدينة عظيمة مسيرة ثلثة ايام قبل كان طولها ثمانية عشر ميلاً وعرضها احدعشر ميلاً وعلوّ اسوارها مئة قدم وسمكها كافيًا ليمشي عليها ثلاث مركبات مجانبة . وكانت محصنة بالف وخمس مئة قلعة علو كل واحدة منها ٢٠٠ قدم

وخلف نينوس امرأته سميرام فارتفع شانها واشتهر اسمها حتى فاقت زوجها وتعالت مملكتها على جميع ممالك العالم وقتئذٍ . ثم نقلت كرسيها من نينوى الى بابل وصيرتها افخر المدن . وكانت هذه المدينة مبنية في وسط اراضٍ مخصبة على جانبي نهر الفرات

وكانت المدينة مربعة ومحيط اسوارها ستين ميلاً وعلوها ٢٥٠ قدماً وسمكها ٨٧ قدماً مبنية من اللبن مغموساً في القير الذي يكثر في تلك النواحي واحاط بها حفرة عميقة مملوءة ماء من النهر وكان لها مئة باب من نحاس في كل جانب ٢٥ باباً وكان لها ٢٥ سوقاً تمر من جانب الى جانب شرقاً وغرباً وكذا جنوباً وشمالاً اي تمتد السوق من باب الى الباب المقابل له في الجهة المقابلة فانقسمت بذلك المدينة الى ٦٧٦ مربعاً بنيت البيوت حولها وفي وسطها بساتين وجنينات وحدائق واذ كان النهر جارياً في وسط المدينة بني على شطيه اسوار فيها ابواب من نحاس ايضاً مقابل كل سوق قاطع النهر ودرجات ينحدر بها اليه وكانوا يعبرونه بالزوارق قبل بنيان الجسر . ولكي يبنوا الاسوار ويضعوا اساساً لقناطر الجسر صنعوا ترعة واسعة حولوا بها ماء الفرات الى الدجلة الى ان كمل العمل فردوه الى مجراه القديم ولئلا تؤذى المدينة او الاراضي المجاورة لها من فيضان النهر السنوي حفروا بحيرة واسعة الى الجهة الغربية من المدينة محيطها ١٦٠ ميلاً وعمقها ٣٥ قدماً على قول بعضهم و٧٥ قدماً على قول آخرين واداروا اليها ماء النهر كل سنة عند فيضانه فكانت تسقي الاراضي المجاورة وبواسطتها وبواسطة الترعة المذكورة وقوا مدينتهم من ان تؤذى بارتفاع مياه النهر . وقيل ان اكثر هذه الغرائب صُنعت في عصر الملك بختنصر وربما اشير الى

ذلك في دا ٤: ٣٠ . وكان على طرفي الجسر قصران يُعبَر من احدها الى الآخر بسرداب تحت قعر النهر وكان محيط القصر القديم الذي على الطرف الشرقي ثلثة اميال وثلثة ارباع الميل وبقربهِ هيكل البعل . ومحيط القصر الجديد الذي على الطرف الغربي سبعة اميال . وقيل ان امرأة بختنصر وهي ابنة استياغ ملك ماديا عند اتيانها الى بابل اشتهت روية الغابات والغياض الموجودة في ماديا فصنع الملك لارضائها بساتين على شكل اراضٍ جبلية سُمّيت البساتين المعلقة لبناء حدائقها على قناطر الواحدة فوق الاخرى فكانت الحديقة العليا مساوية لاسوار المدينة علوًّا ووضع عليها تربة سمكها كافٍ لكي يتاصل فيها اكبر الاشجار ووُضع في الحديقة العليا آلة لاشتال الماء من النهر لاجل سقي تلك البساتين فكان طولها ٤٠٠ قدم وعرضها كذلك . ومن غرائبها ايضاً هيكل البعل بقرب القصر القديم على جانب النهر الشرقي في وسطهِ قلعة مستديرة مبنية من اللبن والقير وهي طبقات طبقات كل طبقة اصغر قليلاً من التي تحتها وكانت اعظم واعلى من الاهرام المصرية ويُظَنّ انها هي برج بابل المذكور في تك ١١: ٣ و٤ . وكان في راسها مرصد لرصد الاجرام السموية ومن ذلك صار للكلدانيين التقدم على بقية شعوب ذلك العصر في معرفة علم الهيئة ولكن كان جل قصدهم ببنائها ان يعبدوا فيها البعل والهة أُخرى غريبة وحُسِب ان قيمة تماثيلها

واوانيها الذهبية بلغت مقدار مليونين ومئة الف ليرة انكليزية. وكان فيها تمثال من ذهب علوهُ اربعون قدمًا

اما سميرام الملكة فلم تكتفِ باملاكها المتسعة بعد موت زوجها نينوس فجمعت عساكرها وقصدت استفتاح بلاد الهند فانكسر عسكرها وهلك منهُ اكثر من ثلثيهِ ثم عادت الى بلادها وسلمت امور المملكة الى يد ابنها بعد ما ملكت اثنتين واربعين سنة وقيل قُتِلت بامر ابنها في السنة الثانية والستين من عمرها

واما نيناس ابنها فلم يكن مثل سلفائهِ بل كان مشتغلاً باللذات الجسدية وتبعهُ خلفاؤُهُ في ذلك حتى لم يبقَ خبرٌ بهم من عصر نيناس الى عصر فول الذي عاش ق م ٧٧١ غير انهُ يذكر في تك ١٤: ١ اسم امرفال ملك شنعار وارض شنعار هي ارض بابل كما يعلم من تك ١١: ٢ وفي هذه المدة اتى الملك سيسوستريس المصري وغلب على جزء عظيم من اسيا واما فول ملك اشور فاتى الى ارض اسرائيل واستغاث به مناحيم ملك اسرائيل واعطاهُ مبلغًا وافرًا من الفضة لكي ياخذ من طرفهِ ويثبتهُ في ملك اسرائيل ٢ مل ١٥: ١٩ ويُظَنّ ان فول هذا هو ملك نينوى الذي تاب بمناداة يونان النبي يون ٣: ٦ — ٩ وبعد وفاتهِ خلفهُ ابنهُ سردنفول وكان متكاسلاً جبانًا فقام عليهِ ارباس والي ماديا وبعلسيس والي بابل وحاصراهُ في نينوى واستفتحاها اما هو فحرق نفسهُ مع نسائهِ وخزائنهِ . ثم انقسمت مملكة اشور

الاولى الى ثلاث ممالك . الاولى مملكة ماديا وكانت قصبتها اكبتان المسماة الآن همذان واستولى عليها ارباس المذكور. الثانية مملكة اشور وقصبتها نينوى واستولى عليها نينوس الثاني المسمّى ايضاً تغلث فلاسر. الثالثة مملكة بابل قصبتها بابل واستولى عليها بعلسيس المار ذكرهُ المسمّى ايضاً نبوناصَّر وفي الكتب المقدسة دُعِي بلدان ٢ مل ٢٠: ١٢

الفصل الثاني عشر

في ملوك بابل

ان بعلسيس المسمى ايضاً بلدان ملك على بابل ق م ٧٤٧ فملك اثنتي عشرة سنة وخلفهُ ابنهُ برودخ او مرودخ الذي ارسل كتباً وهدايا الى حزقيا ملك يهوذا عند ما شُفِيَ من مرضهِ ٢ مل ٢٠: ١٢ وملك بعدهُ عدة ملوك لا نعلم بهم شيئاً

الفصل الثالث عشر

في ملوك اشور الثانية اي نينوى

قيل ان نينوس الثاني المسمّى ايضا تغلث فلاسر ملك في نينوى ق م ٧٤٧ فاستغاث بهِ احاز ملك يهوذا على راصين ملك ارام فاتى ملك اشور وحارب راصين وانتصر عليهِ واستفتح دمشق . ومن ثم انتهت مملكة ارام التي كانت قصبتها دمشق حسبما تنبا اشعيا ٨: ٤ وعا ١: ٥ واخضع اسرائيل ايضا ووضع

عليهم الجزية وسنة ٧٢٨ ق م ملك في نينوى شلمناسر فاستغاث هوشع ملك اسرائيل بسوا الحبشي ملك مصر على ملك اشور وأبى ان يدفع لهُ الجزية فاتى عليهِ شلمناسر واخذ مدينة السامرة وسبي شعب اسرائيل وانزلهم في قرى ماديا ٢ مل ص ١٧

وسنة ٧١٧ ق م خلفهُ ابنهُ سنحاريب واخذ جميع مدن يهوذا الأَّ اورشليم فاستغاث حزقيا بتراق الحبشي ملك مصر فحارب سنحاريب ملك مصر وانتصر عليهِ وتبعهُ الى مصر ونهبها ثم عاد الى اورشليم لكي يحاصرها فارسل الرب ملاكهُ ليلاً فقتل من عسكر الاشوريين مئة وخمسة وثمانين الفاً ثم عاد الى بلادهِ حنقاً على اليهود الاسرى هناك فقتل منهم كثيرين ثم قام عليهِ ابناهُ فقتلاهُ في هيكل الهِهِ وهربا الى ارض اراراط وملك اسرحدون اخوهما الاصغر مكانهُ واتى اسرحدون واخذ بابل وضمها الى اشور ثم الى ارض اسرائيل وسبي مَن بقي من الشعب وجمع قوماً غريبا من اطراف ملكهِ واسكنهم في قرى اسرائيل ولما افترست منهم الاسود ارسل ملك اشور حبراً من اللاويين لكي يعلمهم طريق عبادة اله اسرائيل فادخلوا الاله الحقيقي بين الهتهم الباطلة وعبدوهُ على حدٍ سوى وهذا اصل السامريين وسببٌ من اسباب العداوة التي وقعت بينهم وبين اليهود

وسنة ٦٦٩ ق م خلف اسرحدون ابنهُ بختنصر الاول فحارب ملك ماديا واخذ قصبتها مدينة اكبتان وضمها الى

ملكهِ ثم خلفهُ على اشور سراخوس وكان جبانًا فقام عليهِ نبابولاسر
رئيس جيشهِ وخطف منهُ بابل وملك عليها ثم قطع عهدًا مع
ملك ماديا وطلب مساعدتهُ فوافقهُ على ذلك فحاصرا مدينة
نينوى واخذاها وقتلا سراخوس وخربا المدينة ثم ملك نبابولاسر
على اشور وجعل بابل قصبة المملكة . ثم اتى عليهِ فرعون نيخو
فارسل ملك بابل ابنهُ ليحارب فرعون سنة ٦٠٦ ق م فانتصر
عليهِ واتى الى اورشليم واخذها وجلا كثيرين من اليهود الى بابل
وكان من جملتهم دانيال دا ص ١ . وفي السنة الخامسة عشرة
ليهوياقيم ملك يهوذا مات نبابولاسر وملك بختنصر عوضًا عنهُ
وفي السنة الرابعة من ملكهِ ق م ٦٠٣ راى الرويا المذكورة في
دا ص ٢ . ثم في ملك صدقيا ارسل بختنصر وخرب اورشليم
وحرقها وسبى اكثر اليهود الى بابل وابقى من الفقراء فقط وبعد
ذلك صنع الصنم الذهبي المذكور في دا ص ٣ وبعد خراب
اورشليم باربع سنين اتى الى صور وحاصرها ثلث عشرة سنة
وامتلكها كما مر وكان اسم ملكها ايثوبعل وقد ابتناها اهل
صيدون قبل بناء هيكل اورشليم ٢٤٠ سنة ولذلك سميت ابنة
صيدون اش ٢٣ : ١٢ ثم انحدر الى مصر وغلب عليها . وبعد
رجوعهِ الى بابل راى الرويا المذكورة في دا ص ٤ وأُجري عليهِ
القضاء الذي اخبرهُ بهِ دانيال فذهب عقلهُ وطُرِد من بين
الناس وفي الوقت المعيَّن رجع اليهِ عقلهُ فعاد الى ملكهِ

واخرج الاوامر المذكورة في دا ٤: ٢٧ ومات بعد ذلك بسنة واحدة بعد ان ملك وحدهُ ٤٣ سنة وخلفهُ ابنهُ اويل مرودخ ق م ٥٦٢ انظر ٢ مل ٢٥: ٢٧ — ٣٠ وكان سكيرًا فحاشًا فقتلهُ بعضٌ من اهلهِ وملك بعدهُ زوج اختهِ فقُتِل بالحرب مع ملك ماديا وخلفهُ ابنهُ وكان ايضًا شريرًا وبعد ما ملك تسعة اشهر قتلهُ بعضٌ من رعيتهِ وملك عوضًا عنهُ بلشاصر ق م ٥٥٥ وكان ابن اويل مرودخ بن بختنصر. ولما اتى الماديون والفرس تحت امر كورش ملك الفرس وحاصروا بابل اولم بلشاصر وليمة عظيمة واستعمل للشرب الاواني المقدسة التي كان جدهُ بختنصر قد اخذها من هيكل اورشليم كما ذكر في دا ص ٥ . وفي تلك الليلة أُخِذَت المدينة وقتل بلشاصر فانتهت مملكة بابل وسياتي الكلام عن كيفية استفتاح المدينة في تاريخ مملكتي ماديا وفارس

الفصل الرابع عشر

في تاريخ مملكة ماديا

قيل ان الماديين هم من نسل ماداي بن يافث بن نوح تك ١٠: ٢ وبلادهم واقعة شمالي بلاد العجم من ٣٤° عرضًا شماليًا الى نواحي بحر الخزر. كانت تابعة لمملكة اشور. وقد تقدم ان ارباس والي ماديا واخرين قاموا على سردنفول ملك اشور فصار الماديون مملكة مستقلة وقيل ان ارباس هو اول ملوكهم وقيل انهم بعد طرحهم نير الاشوريين اقاموا عليهم ملكًا منهم

اسمهُ دجوس ق م ٧١٠ وهو الذي صيَّرهم شعبًا متمدنًا بعد ان كانوا متوحشين مقسومين الى قبائل شتى وبنى مدينة اكبتان اي همذان وصيَّرها قصبة المملكة وخلف دجوس ابنهُ افرورط وكان متولعًا بالحرب غير مقتنع بمملكة ماديا فحارب الفرس واخضعهم وامتد ملكهُ فاشتمل على اكثر الاراضي بين بحر الخزر والبحر الاسود وجانب كبير من بر اضاليا ثم قصد ان يضم مملكة اشور الى مملكتهِ فلاقاهُ بختنصر ملك اشور وانتصر عليهِ وفتح مدينة اكبتان واخذ افرورط اسيرًا وقتلهُ. ثم عاد الى نينوى وخلف افرورط ابنهُ كياكسار الاول ق ٦٣٥ واذ كان يحاصر نينوى بلغهُ هجوم الصقالبة من شمالي البحر الاسود على ماديا فترك نينوى ولاقاهم فانكسر قدامهم وتقدموا فاستملكوا اكثر بلاد اسيا وبقيت بلاد اسيا تحت سلطتهم مقدار ثمانٍ وعشرين سنة. ثم احتال بهم الماديون فاولموا لهم ولائم كثيرة في اماكن شتى في وقت معيَّن ودعوهم اليها ثم قاموا عليهم وقتلوهم وهكذا استرجع الماديون املاكهم. فتخلص بعض الصقالبة وهربوا الى ملك لوديا وهي مملكة قوية في غربي اضاليا من مدنها ازمير فقبلهم واضافهم واقام حربًا مع كياكسار من اجلهم دامت خمس سنين ثم توسط بينهم نبابولاسر ملك بابل وملك كيليكية وهي مملكة من ممالك اضاليا القديمة فعقدوا شروط الصلح واعطى ملك لوديا ابنتهُ زوجةً لاستياغ بن كياكسار ملك ماديا. ثم جعل

كياكسار عهدًا مع نبابولاسر ملك بابل فحاصرا نينوى وقتلا سراخوس ملكها وخربا المدينة كما تنبأ قبل ذلك باكثر من ١٠٠ سنة ناحوم النبي ص ١ و٢ و٣ وصفنيا ٢: ١٣ — ١٥ وانقسمت اشور بعد ذلك بين نبابولاسر ملك بابل وكياكسار ملك ماديا

وتوفي كياكسار بعد ان ملك اربعين سنة وخلفهُ ابنهُ استياغ ق م ٥٩٥ فاعطى ابنتهُ زوجة لكمبيز بن اخمين ملك فارس فولد منهما كورش وتوفي استياغ بعد ان ملك ٣٥ سنة وخلفهُ ابنهُ كياكسار الثاني المسمى في الكتب المقدسة داريوس المادي وعند العرب دارا دا ٩: ١ واستفتح كورش بمعونة خالهِ كياكسار بابل العظيمة في زمان بلشاصر الذي قُتِل في استفتاحها. وعاد كورش الى بلادهِ وترك بابل بيد خالهِ. ولما توفي خالهُ صارت لهُ مملكتا ماديا وفارس وقبل التكلم عن حروب كورش وحوادث ملكهِ نذكر شيئًا من تاريخ لوديا لشهرة ملكها في عصر كورش

الفصل الخامس عشر

في تاريخ مملكة لوديا

ان بلاد اسيا الواقعة بين بحر الروم جنوبًا وغربًا وبحر مرمرا والبحر الاسود شمالاً وخط مرسوم من شرقي مدينة طرابزون الى راس خليج اسكندرون شرقًا سُميت قديمًا اسيا الصغرى وانقسمت الى عدة اقسام وممالك وهي بنطس وكبدوكية وكيليكية

في الشرق وفلاغونيا وبيثينية وغلاطية وفريجية وبيسيدية وبمفيلية وليسيا في الجهة المتوسطة وميسيا ولوديا وكاريا في الجهة الغربية اما لوديا فكان موقعها بين ميسيا شمالاً وفريجية شرقاً وكاريا جنوباً وبحر الروم غرباً ومن مدنها ازمير وافسس وساردس وفيلادلفيا ولما كانت في اعظم زهوها كانت اكثر الاقسام المذكورة تابعةً لها

قال يوسيفوس ان موسس هذه المملكة لود بن سام بن نوح تك ١٠: ٢٢ وقال هيرودوط تسمت لوديا اوليديا من ليدوس احد ملوكها وقد انقسم ملوكها الى ثلاث دول الاولى دولة الاتيادية استقامت الى سنة ٢٢٢١ ق م الثانية الدولة الهيراكليدية استقامت ٥٠٥ سنين اي من منتهى الاولى الى سنة ٢٢٨٦ كان اول ملوكها ارغوس وآخرهم كنداولس ويساوي هذه المدة من التاريخ المقدس المدة الواقعة بين آخر حكم القضاة وزمان جلاء العشرة اسباط الى اشور في عصر شلمناسر. الثالثة الدولة المرمندية التي ملكت من منتهى الدولة الثانية الى سنة ٥٦٢ ق م وكان اول ملوكها غيجس وآخرهم كريسوس الذي عاش في عصر كورش ملك ماديا وفارس ق م ٥٦٢ وكان غنياً جداً حتى ضرب به المثل لغناه وكان ايضاً غالباً منصوراً واخضع لحكمه اكثر اقسام اسيا الصغرى وكان محباً للعلم والعلماء وتردد عليه كثيرون من علماء الزمان منهم صولون الحكيم واذ اراد

كريسوس ان صولون يظنهُ اسعد الناس قال لهُ صولون لا يُحسَب سعيدًا الاَّ من من دامت سعادتهُ الى آخر حياتهِ. واذ كان ما بقي من تاريخ لوديا متعلقًا بذكر الحرب التي وقعت بين كورش وكريسوس لنعُد الآن الى تاريخ مملكة فارس وماديا

الفصل السادس عشر

في تاريخ مملكتي فارس وماديا من عصر كورش الى عصر داريوس

انهُ لم يكن لمملكة فارس اشتهار قبل زمان كورش ولا يوثق بتواريخها قبل ذلك وسُمّيت عيلام من عيلام بن سام بن نوح تك ١٠: ٢٢. وصارت في عصر كورش اعظم ممالك العالم فاشتملت على بلاد الهند وفارس وبابل وماديا وسورية والاراضي المجاورة لبحر الخزر واسيا الصغرى

قد علمت مما تقدم ان كياكسار بن استياغ خال كورش خلف اباهُ على مملكة ماديا سنة ٥٦٠ ق م ولما بلغ كياكسار ان ملك بابل كان آتيًا عليهِ بجيش قوي ارسل الى صهرهِ كمبيز ملك فارس ابي كورش طالبًا نجدتهُ فارسل كمبيز كورش ابنهُ بثلثين الف مقاتل ولما وصل الى ماديا بلغهُ ان ملك ارمينيا عصى كياكسار فتقدم كورش الى ارمينيا فاخذ في واقعة واحدة الملك وجميع اهل بيتهِ اسرى ثم عاد الى ماديا بعد ان فرض عليهم ضريبة من المال وتقديم عدد معلوم من الرجال الى جيش كياكسار

واستغاث ملك بابل بكريسوس ملك لوديا فاجابهُ الى ذلك وجرت وقعة بين كورش وجيوشهما في اراضي اشور فانتصر كورش وقتل ملك بابل اما كريسوس فولى هاربًا الى بلادهِ فتبعهُ كورش وانتصر عليهِ في وقعة جرت عند مدينة ثومبرا احدى مدن لوديا ثم استفتح ساردس قصبة الولاية واخذ كريسوس اسيرًا وقضى عليهِ بان يحرق ولما وضع على الوقيد تذكر ما قالهُ صولون لا يحسب سعيدًا الا من دامت سعادتهُ الى آخر حياتهِ فصرخ بصوتٍ عالٍ يا صولون ثلاث مرات فاستخبر كورش لماذا صرخ هكذا ولما عرف السبب اشفق عليهِ وذكر عدم ثبات الاحوال العالمية وكثرة تقلباتها فعفا عنهُ. ولم يزل كورش في اسيا الصغرى حتى اخضعها باسرها من بحر الروم الى نهر الفرات ثم اخضع بر الشام وشمالي بر العرب ثم تقدم الى بابل التي اتكل اهلها على قوة تحصينها ولم يخشوا حصارًا اذ كان فيها ذخائر تعولهم عشرين سنة

الفصل السابع عشر

في النبوات بفتح بابل

انهُ في السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا سنة ٦٠٦ ق م اتى قول الرب الى ارميا قائلاً وتصير كل هذه الارض خرابًا ودهشًا وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة ار ٢٥: ١١ . وفي تلك السنة ذاتها استاسر بختنصر ملك بابل بعض

اليهود من اورشليم وسباهم الى بابل . ثم سنة ٥٨٨ ق م وهي السنة الاولى من السبعين ارسل وخرب اورشليم . ثم زاد الرب وقال ويكون عند تمام السبعين سنة اني اعاقب ملك بابل وتلك الامة يقول الرب على اثمهم وارض الكلدانيين واجعلها خِربًا ابدية ار ٢٥ :١٢ ومن اسباب حلول غضب الله عليها اولاً تكبرها الجائز الحد اذ قالت الى الابد اكون سيدةً ... لا اقعد ارملةً ولا اعرف الثكل اش ٤٧ :٧ و٨ ثانيًا قساوتها على اليهود . قال الرب غضبتُ على شعبي دنستُ ميراثي ودفعتهم الى يدكِ . لم تصنعي لهم رحمة . على الشيخ ثقّلتِ نيركِ جداً اش ٤٧ :٦ وقد نُطِق بهذه النبوة سنة ٧١٠ ق م اي بمقدار مئة سنة قبل اتيان بختنصر الى اورشليم واستفتاح المدينة وقد تكلم كثيرًا بخراب بابل وأُخبر سابقًا بالمصائب العتيدة ان تاتي عليها انظر اش ١٣ و١٤ وار ١٢:٢٠ — ١٤ وص ٥٠ و٥١ وقد ذكر اشعيا كورش باسمهِ قبل ما وُلِد بمئتي سنة

ولما اتى كورش الى بابل وحاصرها استهزأ به اهلها واحتقروهُ اما هو فشرع يحفر ترعًا وخنادق واسعة على جانب النهر ولم يخبر احدًا بمقصودهِ في ذلك ولما تم حفرها انتظر فرصة مناسبة لكي يدبر ماء النهر اليها . ولما سمع ان بلشاصر اولم الوليمة المذكورة سابقًا امر بفتح الترع وجعل بعضًا من عساكرهِ عند مدخل النهر في المدينة والبعض عند مخرجهِ منها وامرهم ان يمشوا في

مجراهُ حالما وجد وا ان الماء قد قلّ كافيًا لذلك واختار هذا الوقت لزعمهِ ان اهل المدينة يلتهون بالوليمة فيتغافلون عن قفل الابواب التي الى جهة النهر وكان الامر حسب زعمهِ فدخل عسكرهُ فرقةٌ من الشمال وفرقةٌ من الجنوب والتقتا عند دار الملك بلشاصر وقتلوهُ وكلّ من قاومهم فملك كورش المدينة وهكذا انتهت مملكة بابل ق م ٥٣٨ فتمت نبوات اشعيا وارميا ودانيال بالتدقيق الكلي وفي زمان ملوك فارس تُركت بابل وسقطت اسوارها فانسد النهر من الخرابات الساقطة فيهِ وطاف على المدينة ذاتها . ثم بعد ذلك قصد اسكندر ذو القرنين ان يجددها فمات بعد ما ابتدا بذلك ببرهة يسيرة

اما كورش فسلم بابل لتدبير خالهِ كياكسار ملك ماديا المسمى ايضًا داريوس المادي وعاد الى بلادهِ وفي زمان داريوس هذا حدث ما ذكر في دا ٦ و ٩ وبعد وفاة داريوس عاد كورش الى بابل وامر برجوع اليهود الى اورشليم وببناء المدينة والهيكل وحسبت هذه السنة الاولى من ملك كورش لانها كانت الاولى التي ملك فيها وحدهُ بعد وفاة ابيهِ وخالهِ عزا: ١ — ٤ وان حسبنا سني جلا بابل من السنة الرابعة ليهوياقيم فتكون هذه منتهى السبعين سنة اذ فيها اخرج الاوامر لاطلاق اليهود من اسرهم وان حسبنا ذلك من وقت خراب اورشليم في ملك صدقيا يكون منتهاها عند بنيان المدينة والهيكل ثانيةً

وذلك بثماني عشرة سنة بعد اخراج امر كورش وتوفي كورش ق م ٥٢٩ وخلفهُ ابنهُ كمبيز فحارب فصمنيطوس بن اماسيس والي مصر الذي كان قد انكر عليهِ السلطان على مصر. وبعد ما خرب مصر عاد الى سورية ورأى في الحلم اخاهُ سمرديس جالسًا على كرسي الملك فقتلهُ لئلاَّ يصحَّ حلمهُ. ثم قام بعض رعيتهِ وملكوا عليهم احد المجوس الذي كان يشبه اخاهُ هيئةً فادَّعى انهُ هو ذاتهُ وتسمَّى باسمهِ فتقدم كمبيز لاماتة هذه الخيانة فادركهُ الموت قبل وصولهِ الى بلادهِ

واما سمرديس المجوسي فملك ق م ٥٢١ وسُمّي ايضًا ارتحشستا عز ٤: ٧ وفي ملكهِ اشتكى السامريون على اليهود فمنعهم الملك عن بناء اورشليم وبطل العمل الى السنة الثانية من ملك داريوس الفارسي عز ٤ وبعد ما ملك سمرديس المذكور سبعة اشهر قتلهُ بعض رعيتهِ وملكوا عوضًا عنهُ داريوس بن هيستاسب احد اكابر الفرس ق م ٥٢١ ويسمَّى في الكتب المقدسة احشويروش وفي ملكهِ جرت الحوادث المذكورة في سفر استير فثبت امر كورش ببناء الهيكل في اورشليم واطلق اليهود واعانهم على بنيان مدينتهم عز ٦ وكان فارسيًا من نسل اخمين جد كورش. واما ما بقي من اخبار داريوس وخلفائهِ فمتعلق بتاريخ اليونانيين لسبب الحروب التي جرت بينهم

الفصل الثامن عشر
في ديانة الفرس القدماء

ان الفرس والماديين القدماء كانوا يعبدون الشمس والنار غير ان اسرار ديانتهم لم تكن معروفة الا عند كهنتهم الذين تسموا مجوسًا واشبهوا كهنة المصريين في المعرفة والوجاهة حتى ان الملوك اخضعوا لهم نوعًا . وكان مؤسس قواعد ديانتهم زردوشت عاش ق م ١١٠٤ وألَّف عدَّة اسفار ادَّعى انهُ أُوحي اليهِ بها ولم يكن لهم هياكل ولا تماثيل او صور او مذابح فكانوا يذبحون ذبائحهم تحت السماء في اماكن مرتفعة واكرموا الشمس الطالعة اكرامًا زائدًا وحفظوا نارهم المقدسة بغاية التحفظ لزعمهم انها وقعت من السماء . وعند وقوع الخلل في العقائد المجوسية قام بين عصر كورش وداريوس بن هيستاسب رجل اسمهُ زرودشت فاصلح الدين وكانوا قبل زمانهِ يعتقدون بوجود المين الٰه الخير الذي سُمّي ارومازد والٰه الشر الذي سمي اريمان . اما زردوشت فعلَّم بوجود اله واحد فقط واجب الوجود ازلي ابدي وتحتهُ ملاكان احدهما مبدع الخير والآخر مبدع الشر وان بينهما مجاهدة عظيمة لا تنتهي الا عند نهاية العالم . ثم يذهب ملاك الشر مع اصحابهِ الى عالم وحدهم ويتعذبون هناك الى الابد وملاك الخير مع اصحابهِ الى عالم وحدهم ولا يعود يختلط الخير بالشر الى

ابد الدهور . وكان التناسخ من اخص عقائدهم وامرهم ان يبنوا هياكل لاحتفاظ النار المقدسة حيث احترس المجوس عليها ليلاً ونهارًا وربما استمد بعض عقائدهم من اليهود القاطنين حينئذٍ في تلك النواحي

واما طائفة الصابئين فكانت مضادّة للمجوس اذ كان اهلها يستعملون الصور والتماثيل في عبادتهم . وكانت بداءة هذه الطائفة بين الكلدانيين ومن هناك امتد استعمال الصور والتماثيل في العبادة الى مصر وبلاد اليونان والرومانيين

الفصل التاسع عشر

في تاريخ اليونانيين القدماء

ان بلاد اليونانيين او هلاس كانت مشتملة على الجزء الجنوبي من بر الترك في اوروبا وبلاد الروم والمورا وعدة جزائر في الابحر المجاورة الاراضي المذكورة وكان يحدها شمالاً اليريا المسماة الآن بوسنيا وميسيا العليا المسماة الآن سرفيا وشرقًا ثراقيا وهي الجزء الشرقي من الروملي والارخبيل الرومي وجنوبًا بحر الروم وغربًا الخليج البندقي . وقد انقسمت الى خمسة اقسام كبرى . الاول مكدونية وهي الجزء الشمالي من بلاد الارناوط والجزء الغربي من الروملي ومن مدنها فيلبي وتسالونيكي المسماة الآن سالونيك وقاعدتها بلا وطن فيلبس وابنه اسكندر ذي القرنين . الثاني تسا ليا وهي مربع في جهة الجنوب الشرقي من بلاد الارناوط .

الثالث ايبروس وهي مستطيل في جهة الجنوب الغربي من بلاد الارناوط. الرابع بلاد اليونان الاصلية المسماة الان بلاد الروم. الخامس بلوبونيسية المسماة الان شبه جزيرة المورا وكان يتبعها الجزائر البندقية وجزائر الارخيل الرومي وجزيرة كنديا او كريت وكان لليونانيين منازل في اسيا الصغرى وسيسيليا وايطاليا واماكن أُخَر كما سياتي

وقد انقسم تاريخ هذه البلاد الى قسمين الاول تاريخ الازمنة المجهولة اي من اول ذكرها الى مهاجمة الفرس تحت امر داريوس بن هيستاسب ق م ٤٩٠ وتسمى العصور الخرافية. الثاني تاريخها من مهاجمة الفرس الى اخضاعها للرومانيين

الفصل العشرون

في تاريخ العصور الخرافية

قيل ان اليونانيين من نسل ياوان بن يافث بن نوح تك ١٠: ٢—٤ وكانوا قديمًا متوحشين يسكنون الاكواخ والمغاير ويلبسون الجلود وياكلون النبات والجذور وقيل لم يكونوا يعرفون فائدة النار وكانوا اولًا يعمرون مساكنهم منفردة بعيدة بعضها عن بعض ثم بالتدريج اجتمعت المساكن حتى صارت ضيعًا وصارت الضيع مع ما وليها من الاراضي ممالك وهذا سبب انقسام بلادهم الى ممالك شتى صغيرة بالكد تستحق ان تُسمَّى ولاية واحدة. قيل اذ كانوا على هذه الحالة اتى اليهم قومٌ من فينيقية تسموا التيتانيين

وكان ذلك بقرب عصر ابرهيم الخليل وبا لاختلاط بهم استفاد اليونانيون كثيرًا في المعرفة وتعلموا عبادة آلهة الفينيقيين مثل اورانوس او ساترنوس المعروف عند العرب بزحل وجوبتير اي المشتري وزعموا ان اصل هولاء الآلهة بشرٌ اشتهروا في امر من الامور فألّهوهم وبعد حين ادخل اليونانيون هولاء التيتانيين بين آلهتهم وهذا اصل خرافاتهم من جهة الآلهة وانصاف الآلهة اي اناس ذوو قدرة وشهرة قدموا لهم اكرامًا الاهيًا بعد وفاتهم

اما التيتانيون فعمروا عدة مدن صارت ممالك صغيرة من اقدمها مدينة سيسيون على خليج ليبانتو تاسست قبل المسيح ٢٠٨٩ في عصر حاران جد ابرهيم وارغوس بُنِيت ق م ١٨٥٦ اي في آخر زمان ابرهيم وذُكِر اسم ملك من ملوكها عاش ق م ١٧٩٦ وهو اوغيجس وكان التيتانيون كثيري الحروب فانقطعوا ثم عاد اليونانيون الى حالتهم الاولى وبقوا على ذلك مقدار ٢٠٠ سنة الى ان اتاهم قوم من مصر تحت امر كيكروبس ق م ١٥٥٦ فاستولوا على مملكة اتيكا وبنوا فيها اثنتي عشرة مدينة وكان ذلك بداءة مملكة اثينا وانشأ المذكور محكمة سماها اريوباغوس التي اشتهرت جدًا. وملك على اثينا بعد كيكروبس رجلٌ اسمهُ امفكتيون فحرض بقية الممالك الصغار الكائنة يومئذٍ ان تقيم عهدًا بعضها مع بعض لاجل منفعتهم العمومية فاجابوهُ الى ذلك . والمدن التي دخلت في هذه المعاهدة ارسلت نوابًا الى ديوان من

وكلاء الجميع انعقد كل سنة مرتين في مدينة ثرموبوليس وتسمى المشورة الامفكتيونية. وفي عصر امفكتيون هذا اي ق م ١٤٥٥ ادخل كادموس الفينيقي الى بلاد اليونان حروف الهجاء وصناعة الكتابة وكان اليونان اولاً يكتبون سطرًا من الشمال الى اليمين ثم سطرًا من اليمين الى الشمال وهلمّ جرًّا

الفصل الحادي والعشرون

في مثولوجيا اليونانيين اي خرافاتهم الدينية

ساترنوس اي زُحَل

ان اليونانيين عبدوا آلهة كثيرة وجعلوهم ذكورًا واناثًا يلدون ويولدون ونسبوا لهم السلطان على الامور الارضية ووصفوهم بجميع الاوصاف البشرية الَّا قبول الفناء فحسبوهم ياكلون ويشربون ويرقدون ويقاتلون ويصالحون وهلمّ جرًّا الَّا انهم كانوا عديمي الموت . واذا اشتهر بعض البشر بالصفات الحميدة او الردية او باعمالٍ غريبة قدموا له بعد وفاته اكرامًا دينيًّا وسموهم انصاف آلهة وسموا بهذا الاسم ايضًا بعض فحول البشر الذين حسبوهم ولدوا من الهٍ وبشرٍ

واقدم الآلهة عندهم ما سموهُ سيلوس اي الفلك قيل كان له ولدان احدهما ساترنوس اوكيوان اي زُحَل فتزوج هذا باخته اوبس وتسمى ايضًا سيلة والجدة لانها كانت ام اكثر الآلهة. والآخر

تيتان وهو البكر فاعطى الملك لاخيهِ ساترنوس على شرط ان ياكل جميع اولادهِ الذكور لكي يرجع الملك بعد حين الى نسل تيتان فنعل كذلك حتى ولدت امرأتهُ جوبتير اي المشتري واختهُ جونو او يونون واخاهُ نبتون فاخفتهم فلم ياكلهم ابوهم. ثم غلب جوبتير على ابيهِ واختلس الملك من يدهِ فهرب ساترنوس الى ايطاليا واقام عند يانوس ملك لاطيوم حيث بُنيت بعد حين مدينة رومية فترحَّب بهِ واشركهُ في الحكم. ويانوس هذا حُسِب عند الرومانيين الهًا فكافاهُ ساترنوس باعطاهِ محفوظة عجيبة بها يتفكَّر بالماضي ويتبصَّر في الآتي ولذلك صوَّروهُ بوجهين احدهما ينظر الى قدام والآخر الى ورائهِ وسمى شعراء اليونانيين والرومانيين هذا الوقت العصر الذهبي لزعمهم ان الارض حينئذٍ اتت باثمارها بدون تعب البشر. وبعد حين اقاموا لساترنوس مواسم في شهر كانون الاول بقيت اولاً ثلثة ايام ثم اخيرًا خمسة ايام. وفي هذا العيد أُغلقت المجالس والمدارس وتاخر عقاب المذنبين وكفوا عن الحروب وخدم السادةُ خدَّامهم على الموائد تذكرةً للحرية التي كانت في زمان ساترنوس وكان ليانوس هيكلٌ في رومية أُغلق في زمان الصلح وانفتح في زمان الحرب

سبيله

انهُ حسب زعم اليونانيين والرومانيين كان اكثر الآلهة متوكلين بامور بشرية خصوصية وباماكن ومحالّ مختلفة فكان

لهم الهة للجبال وللسهول للانهر وللابحر للزراعة وللاثمار للحرب وللصلح وللعلوم وهلمّ جرًّا. فسبيله زوجة ساترنوس وسُمّيت ايضًا إبذة والجلة واوبس ووستة كانت تُعَدّ الاهة الاراضي الزرعية وصوروها جالسة على عجلة تجرها الاسود والنمور وحولها اجناس من البهائم وعلى راسها تاج من الازهار والنبات. قيل وفي كتبهم ذكر الهة اخرى اسمها ايضًا وستة جعل لها نوما فمفيليوس محرابًا في رومية وحسبوها الهة النار وخدمها عذارى نذرنَ ذواتهنَّ لخدمتها وان يحفظنَ بتوليتهنَّ فان خالفنَ نذرهنَّ دُفِنَّ حيّاتٍ وكنَّ يضرمنَ نارًا دائمة في هيكلها وجُعِل لها مواسم تسمَّت الميغاليزية

سيريس اي السنبلة وترمينوس

قيل كانت سيريس ابنة ساترنوس وسبيلة المار ذكرها . هي الهة حواصل الارض وقيل انها علمت الناس زراعة القمح فصوروها مكللة بتاج من السنابل وسميت ايضًا أَلْمَا اي التي تقوت واقيم لها مواسم وكانوا يذبحون لها الخنازير لكونها تقلع الزروع وتفسد البزور. واما ترمينوس اي اله الحدود فكانت صورتهُ صخرة عظيمة دالّة على الركز وعدم الانتقال واقيم له مواسم سُمّيت الترمينية . قيل انه لما وُضِع اساس بيت الحكم في رومية واخذ جوبتير على ذاته ان يكون محافظًا للمملكة سلم له في ذلك جميع الالهة واخلوا له المكان الّا ترمينوس فلم يتحرّك البتة

جوبتير اي المشتري وسُمّي ايضاً زفس

قيل كان جوبتير ابن ساترنوس وسببه فطرد اباهُ كما ذكر انفاً ثم قسم الملك بين نفسهِ واخوتهِ فاخذ لنفسهِ القسم العلوي المعبر عنهُ عندهم بالسماء واعطى اخاهُ نبتون سلطان المياه والابحار وسلطنة الجزء السفلي اي جهنم لاخيهِ ابلوطون ومن ثمَّ دُعي ملك الالهة والبشر وكلما وُلِد لعمهِ تيتان ولدٌ قتلهُ وكان اسم زوجة تيتان ترّا اي الارض وولدت جبابرة طوال القامة اشدّاء فوضعوا جبلاً على جبلٍ لكي يصعدوا بها الى السماء ويحاربوا جوبتير لعلهم ينتصرون عليهِ فضربهم جوبتير بالصواعق فوقعوا منكبّين تحت تلك الجبال ثم استغاث جوبتير ببقية الالهة فاجابوهُ وطردوا الجبابرة الى مصر حيث تشكلوا باشكال حيوانات فقام احد الالهة اسمهُ بخوس وتشكل بصورة اسد فتبعهم وبقي على اثارهم مدة طويلة

ولما استقل جوبتير وثبت الملك كلهُ بيدهِ شرع في صنع البشر فاخذ بروميثيوس وهو ابن احد التيتانيين طيناً وجبل منهُ اصناماً على صورة الرجال وجعل فيها حيوةً بواسطة نارٍ سرقها من السماء فغضب عليهِ جوبتير بسبب عملهِ هذا وارسل مركور اي عطارد لكي يوثقهُ في جبال كوه قاف وجعل على جانبهِ عقاباً يمزق كبدهُ وكلما مزقها تجددت فذاق من ذلك اشد العذاب ثم صنع ولكان بن جوبتير امرأةً بامر ابيهِ تسمت

بندورا واعطاها كل واحدٍ من الالهة شيئًا من الاوصاف الكاملة لزيادة حسنها وكمالها فاعطتها يونون جلالةً والزهرة حسن الخلقة وابولون معرفة الموسيقى وعطارد الفصاحة وهلمَّ جرًّا . ثم جمع جوبتير كل الامراض والمصائب الموجودة في الكون ووضعها في علبة ودفعها الى بندورا لكي تاخذها الى بروميثيوس فلما ارادت ان تكشف عما في العلبة فتحتها فخرجت الامراض والدواهي واستولت على البشر ومن ثمَّ ضُرِب المثل في علبة بندورا لكل امرٍ ينتج منهُ شرٌّ. قيل ان جوبتير تربى في جزيرة كريت وصورتهُ جالسًا على كرسي بيدهِ الصواعق على شكل سهام وعلى جانبهِ نسر ولذلك سُمّي النسر طائر جوبتير ومن ذلك اخذ الرومانيون صورة النسر لالويتهم والى هذا اشار المسيح بقولهِ حيثما تكن الجثة هناك تجتمع النسور

يونون او جونو

كانت يونون اخت جوبتير وزوجتهُ وهي الهة الزواج والولادة وكان لها ابنة تُسمَّى هيبة وهي الهة الصبا والشبيبة وكانت ساقية لجوبتير تصب لهُ الرحيق ومن اولاد يونون ايضًا مارس اي المريخ وهو اله الحرب وولكان او بركان وكان قبيح المنظر فكره جوبتير ان يكون من اولادهِ فضربهُ برجلهِ فسقط الى الارض وبقي واقعًا من الصباح الى المساء فوصل الى الارض على جزيرة لمنوس احدى جزائر الارخبيل الرومي ونسي الآن

متلين وانكسرت رجلهُ . ثم جعلهُ جوبتير رئيساً على الحداد بن وكان يصنع الصواعق لابيهِ وحُسِبت البراكين دكاكينهُ ولهُ صناعٌ تسموا سقالبة

ابولون

قيل هو ابن جوبتير من الهة اسمها لاطونا وحُسِب اله الحكمة والموسيقى والشعر والسحر وكان لهُ اختٌ اسمها ديانة او ارطاميس وهي الهة الصيد وكان لها هيكلٌ معتبرٌ جداً في افسس وحُسِب واحدة من عجائب الدنيا السبع ووُجد فيهِ تمثال قديمٌ لم يعلم من صنعهُ ولذلك قالوا انهُ أُرسِل من السماء من عند جوبتير والى هذا أُشير في اع ١٩: ٢٤ و٢٥ وكان لابولون ابن سمي اسكولاب فتعلم علم الطب وبلغ فيهِ الى انهُ اقام الموتى فغضب عليهِ جوبتير لذلك وقتلهُ بصاعقةٍ ثم قتل ابولون السقالبة الذين صنعوا الصواعق انتقاماً منهم على قتل ابنهِ وحُسِب اسكولاب هذا اله الطب

بخوس ومركوراي عطارد وونوس اي الزهرة

قيل كان بخوس ابن جوبتير وهو اول من اعتصر العنب واستخرج الخمر وانواع المسكرات ولذلك سُمّي اله السكر

واما مركوراي عطارد وسُمّي ايضاً هرمس فقيل انهُ ابن جوبتير وكان ترجماناً لهُ ولغيرهِ من الالهة وسفيراً لهُ وحُسِب اله التجارة والادب والفصاحة

واما وينوس اي الزهرة فهي الهة العشق والحسن والافراح وكان اهل فينيقية يعبدونها تحت اسم عشتاروث

بلاس وغيرها من الآلهة

ان بلاس او بلاسه هي اول من اخترع صناعة الغزل واستعمل العرناس وكانت ولادتها ان جوبتير اشتكى يوماً من صرع شديد مؤلم بهذا المقدار حتى دعا ولكان لكي يشق راسهُ ويكشف عما فيهِ يسبب لهُ ذلك الوجع فشق راسهُ بفاس فخرجت منهُ بلاس بصورة تامة وهي متسلحة بالاسلحة الكاملة . واما بان فهو اله الرعاة وهو اله البراري ايضاً واما بومونا فهي الهة الاثمار وفلورة الهة الزهور وكان للبيوت الهة سموها ابناتية وكانوا يتضرعون الى هولاء كثيراً ويجعلون لهم تماثيل في بيوتهم وكان لليل والنوم الهٌ اسمهُ مرفا او مرفيوس

الفصل الثاني والعشرون

حوادث العصور المجهولة

من جملة هذه الحوادث الاسرار الايلوسينية التي اخترعها ايركثيوس ملك اتيكا اكراماً للالهة سيريس اقيمت مرةً واحدة كل خمس سنين في مدينة ايلوسيس في شهري اب وايلول . ومنها اختراع الملاعب الاولمبكية التي اقيمت مرةً واحدة كل اربع سنوات في مدينة اولمبيا في المورة اكراماً لجوبتير . والملاعب البيثيكية اكراماً لابولون . ومنها الملاعب النيمية اقيمت في مدينة

نيميا في المورة كل سنتين اكراماً لهركول . ومنها الملاعيب البرزخية أُقيمت في برزخ كورنثوس كل اربع سنين اكراماً لنبتون اله البحار. واعظم كل هذه الملاعيب هي الاولمبكية التي كان يجري فيها كل نوع من المصارعة والمسابقة والمغالبة وكان الغالب فيها يكلل باكليل من اغصان الزيتون ويكرم اكراماً زائداً . والى ذلك اشار الرسول بولس في اكو ٩: ٢٤ — ٢٧

الفصل الثالث والعشرون

في حرب طرواده ورجوع الهيركلدية وحروبهم

ان هذه الحرب من اشهر حروب اليونانيين القديمة وسببها انهُ كان لبعض ملوك اسبرطه ابنة بديعة الجمال اسمها هيلانه فزوجها ابوها بمنيلاوس ملك ليكاونية فحدث بعد ذلك انهُ اتى اسبرطه باريس بن بريا موس ملك طرواده فاكرمهُ منيلاوس اكراماً لامزيد عليهِ فطغى هيلانه واخذها وفر هارباً بها بعد ان اخذا مالاً جزيلاً واتى بها الى مدينة والدهِ طرواده . فبعث منيلاوس الى ملوك اليونانيين واكابرهم طالباً ان يسعفوهُ على الانتقام من باريس فاجابوهُ الى ذلك وجهزوا جميعاً نجدة عظيمة لمحاربة طرواده تحت قيادة اغاممنون اخي منيلاوس وملك ميسان وكورنثوس وسيسيون وجهزوا عمارة يبلغ عددها نحو ٢٠٠٠ سفينة وركب فيها نحو مئة الف مقاتل ومن جملة الابطال الذين اشتهروا في هذه الحرب اشيل او اخيليس واوليسيس

وعولوس صاحب الحيل والتدابير وغيرهم. وكان اهل طرواده تحت قيادة هكتور الشجاع ابن برياموس ملك طرواده وفي مساعدته اخوهُ باريس واينياس وسرفيدون وفاز اليونانيون بافتتاح طرواده بعد حصار عشر سنين فنهبوا المدينة وخربوها واحرقوها وقتلوا برياموس واولادهُ وسبوا عائلتهُ وكان ذلك نحو سنة ١١٨٤ ق م في عصر يفتاح احد قضاة بني اسرائيل وبعد ذلك بنحو ثمانين سنة اقام اليونانيون كولونيا في نواحي طرواده وما بقي من مملكة برياموس انضم الى مملكة ليديا

وبعد فتح طرواده بثمانين سنة حدث بين اليونانيين حربٌ شديدة سميت حرب الهيركلدية وسببها هو ان الهيركلديين الذين كانوا قد طُرِدوا من بلادهم المورة رجعوا ومعهم احدى القبائل اليونانية التي انضمت لنجدتهم وحاربوا اليونانيين اخصامهم واستولوا على مسيني وليكاونية التي قاعدتها اسبرطه وطردوا الاخائيين ومن ثمَّ اقتسم الهيركلديون البلاد التي فتحوها الى ثلاثة اقسام وهي ارغوس ومسيني وليكاونية

فحسد اهل ليكاونية المسينيين لحسن موقع بلادهم وجودة اراضيها وشبت بينهم حروبٌ شديدة دامت عشرين سنة ففاز السبارطيون اخيرًا بالمسينيين وافتتحوا بلادهم وطردوهم منها فالتجأُوا الى اركاديا ومنها اقلعوا الى سيسيليا واستولوا على مدينة زانكليا ودعوها مسين ولم يزل هذا الاسم عليها الى الآن.

ثم حارب السبارطيون مملكة اثينا فلم ينتصروا عليها ومن ثمَّ صار لاسبرطه واثينا التقدم على ممالك اليونان كما ستعلم

الفصل الرابع والعشرون

في جمهورية اسبرطه

ان مدينة اسبرطه كانت قاعدة ليكاونية بناها لكديمون في الجيل الخامس عشر ق م وبعد رجوع الهيركلدية واستيلائهم على ليكاونيه وارغوس ومسيني كما مرَّ ملك على ليكاونيه ابنا اربستوديم اللذان اسم احدهما اوريشين والاخر بروكليس وبقيت المملكة بعد وفاتهما مقسومة الى قسمين بين نسلهما نحو تسع مئة سنة وجرى بين ملوك القسمين انشقاقات ومخاصات كثيرة في غضون تلك المدة

ونحو سنة ٨٨٤ ق م توفي بوليد يكتوس ملك احد القسمين بلا عقب تاركًا زوجتهُ حبلى وكان لهُ اخٌ اسمهُ ليكورغس فراودتهُ امراة اخيهِ طالبة ان يتزوج بها ويستقل بالملك بعد اخيهِ وانها تهلك الجنين اذا قبل. فكره ليكورغوس ان يرتكب هذا الامر القبيح . وعند ما وضعت امراة اخيهِ ذكرًا اهتمَّ بتربيتهِ ودعاهُ ملك اسبرطه الشرعي وكان هو يدبر امور الدولة بالنيابة عن ابن اخيهِ ولكن اذ حدث نفورٌ بينهُ وبين امراة اخيهِ كره ان يبقى على تلك الحال فسافر الى جزيرة كريت ثم الى اسيا الصغرى ومصر لكي يدرس علوم تلك البلاد وشرائعها فحدث في مدة

غيابهِ مخاصمات وفتن كثيرة في اسبرطه وجاهر كثيرون بالعصيان على الملك وشرائع المملكة فارسل الشعب يطلبون من ليكورغس بالحاجة ان يوافيهم عاجلاً ويتقلد زمام الملك ويقي البلاد من الدمار فاجابهم الى ذلك واخذ باصلاح البلاد واخماد الفتن وغيَّر هيئة الحكومة من الملكية الى الجمهورية حيث اقتدى بهِ كثيرٌ من ممالك اليونانيين واصبح الحكم الجمهوري غالبًا في اكثر البلاد

واذ اراد التسوية بين وجاهة الملوك والاكابر والعامة رتب لذلك ديوانًا مؤلَّفًا من ثمانية وعشرين شخصًا ينتخبهم الشعب من اكابر البلاد وجعل ملكي ليكاونية المتقدم ذكرهما رئيسي الديوان وكان الديوان المشار اليهِ يسنُّ الشرائع والقوانين ثم تُعرَض على جمعية العامة فان صادق الشعب عليها ثبتت والاَّ فلا. ولكي يثبت ليكورغس هذه المبادي والاجراآت اخذ يربط الشعب بعضهم ببعض جاعلاً اياهم كاعضاء عائلة واحدة فقسم املاك المملكة بينهم بالمساواة لكي لا يكون بينهم فقيرٌ وغنيٌّ . وابطل المعاطاة بالذهب والفضة وجعل عوضهما قطعًا من حديد

ثم ان اهالي اسبرطه نظروا الى جميع الاطفال المولودين حديثًا فسلموا الكاملي البنية منهم الى مرضعات من طرف الجمهورية حتى متى بلغوا سن السبع سنين ادخلوهم الى المدارس

وعوّدوهم الشجاعة والتعب ومقاساة المشقات ولم يميز المعلمون بين الاولاد في التعليم . والنساء ايضاً اكتسبنَ فضائل الرجال وافتخرنَ بشجاعة اولادهنَّ . وقيل عن امرأة قالت لابنها عند ذهابهِ الى الحرب وهي تناولهُ ترسهُ ارجع اما بهِ واما عليهِ اي اغلب او مُت في القتال فتفوقت جمهورية اسبرطه بواسطة هذه القوانين ووقع رعبها على جميع ممالك اليونانيين ولبثت على ذلك نحو خمس مئة سنة

الفصل الخامس والعشرون

في جمهورية اثينا

كانت اثينا قصبة اتيكا وكان حكمها ملكيًّا حتى زمان قدروس احد ملوكها الذي عاصر شاول اول ملوك اسرائيل وفي زمانهِ رجع الهيركلدية الى المورة ولما حاربوا اثينا كما مر اخبرهم الفال انهم يغلبون عليها اذا لم يُقتَل ملكها في الحرب فاحترسوا جدًّا من قتلهِ اما هو فلبس لباس احد العوام ودخل بين عساكرهم وقُتِل حبًّا ببلادهِ ولما علم الهيركلدية ان الملك قد قُتِل خاب رجاؤهم بالنصرة فتنحّوا عن الحرب

وبعد موت قدروس ابطل الاثينيون الحكم الملكي واقاموا عوضاً عن الملك رئيساً سموهُ اركونًا واول اركونٍ اقاموهُ ميدون بن قدروس وبقيت هذه الوظيفة في نسلهِ ثلث مئة واحدى وثلثين سنة وكان الاراكنة في اول الامر يقيمون في وظيفتهم

مدة الحيوة ثم بعد ذلك تغيرت الى مدة عشر سنين ثم الى سنة واحدة فقط وزيد عددهم رويدًا رويدًا الى تسعة كانوا يشتركون في جميع امور الحكم واذ لم تكن الشرائع مرتبة ترتيبًا حسنًا شرع ادراكون رئيس الاراكنة وقتئذٍ في تنظيمها وتجديدها وسنّ قوانين صارمة جدًا جاعلًا الموت عقابًا لكل ذنبٍ محتجًا بان ادنى ذنبٍ يستوجب الموت ولشدة هذه القوانين قيل انها كُتِبَت بالدم ثم أُهملت اصرامتها

ونحو سنة ٦٠٤ ق م كان رئيس الاراكنة صولون الحكيم من نسل قدروس فسنّ شرائع وقوانين جديدة مناسبة لاحوال البلاد في عصرهِ وحصر السلطنة العظمى في جمعية من الشعب لا يدخلها الّا من بلغ من العمر ثلثين سنة ورتب ديوانًا عدد اعضائهِ اربع مئة تزايد فيما بعد الى خمس مئة وجدّد ايضًا ديوان اريوس باغوس الذي كان قد اهملهُ ادراكون وقسم الشعب الى اربع رتب حسب غناهم وانتخب المتوظفين من الرتب الثلاث الاولى واما الرابعة فاشتملت على عامة الشعب . واهتم صولون ايضًا بتوسيع تجارة بلادهِ وتكثير الصنائع والمعامل والحرف المختلفة ملزمًا كل انسان ان يباشر مصلحة من المصالح لتحصيل معاشهِ وحرض الناس على العفة ومنعهم عن استعمال الكلام المخل في الاداب ومن خالف ذلك عوقب اشد العقاب

ثم سافر صولون الى لوديا وكان ملكها يومئذٍ كريسوس

الذي مر ذكرهُ عند الكلام على تلك المملكة وكانت مدة غيبته عشر سنين . ولما رجع الى بلادهِ وجد الفتن قائمة فلم يستطع ان يخمدها لان رجلاً اسمهُ فسستراتوس كان قد اختلس الحكم من الاراكنة فبذل صولون جهدهُ عبثًا لتخليص البلاد من يدهِ فلم ينجح اذ نجح فسستراتوس باستمالة الشعب اليهِ وبمعاملتهِ اهل اثينا باللطف فرتع الاثينيون في ايامهِ بالسعادة ثم مات صولون بعد ذلك بسنين. وبعد وفاة فسستراتوس خلفهُ ابناهُ هيباس وهبرخوس فقام اثنان من اهل اثينا على هبرخوس وقتلاهُ فقتلهما هيباس وشرع يظلم الاثينيين فاستغاثوا باهل اسبرطه طالبين عزلهُ من الملك فاجابوهم واخذوا المدينة فهرب هيباس الى اسيا الصغرى ملتجئًا الى احد ولاة داريوس ملك فارس الذي كان عازمًا على استفتاح بلاد اليونان فراسل الاثينيين طالبًا ترجيع هيباس الى ملكهِ واذ لم يقبلوا ذلك جعل عدم قبولهم اياهُ سببًا لمهاجمتهِ بلادهم

الفصل السادس والعشرون

في تاريخ الفرس واليونانيين

انهُ اذ كان بعض اليونانيين قد اقاموا منازل في اسيا الصغرى منها ايونيا وابوليا وكاريا استفتح كريسوس ملك لوديا هذه الاقسام وضمها الى مملكتهِ ولما غلب كورش على كريسوس انضم الجميع الى مملكة فارس . وفي عصر داريوس قصد

الايونيون ان يتخلصوا من العبودية لملك فارس فاستغاثوا باثينا وجزائر الارخبيل الرومي فارسلوا اليهم خمساً وعشرين سفينة وابتداوا بمحاربة المدن البحرية التي كانت خاضعة لملك فارس وحاصروا براً مدينة ساردس قاعدة ليديا واحرقوها فوافتهم عساكر الفرس وطردتهم فانهزم اليونانيون مدبرين الى بلادهم فلما راى داريوس ما فعلهُ اليونانيون عزم على غزو بلادهم واستفتاحها فارسل ثلاث مئة سفينة تحت قيادة مردونيوس صهرهِ فهاج عليها نوءٌ فتكسرت. واما الجيوش البرية فبعد ان اخضعوا مكدونية وتقدموا لمحاربة اسبرطه واثينا هاجمهم الفريجيون وكسروهم فارتدوا على الاعقاب

وسنة ٤٩٠ ق م ارسل داريوس تجربةً اخرى مع عمارة بحرية مؤلفة من ست مئة سفينة ففتحوا عدة جزائر من الارخبيل الرومي ونهبوا مدينة ارثيريا واسروا اهلها الى بلاد فارس ثم تقدموا الى شطوط اتيكا ونزل الجيش الى البر وعددهُ مئة وعشرة الاف مقاتل ودليلهم هبياس فاستنجدت اثينا باسبرطه فوعدت بارسال جيش فلم يصل الاَّ بعد نهاية الحرب. فتقدم هبياس بجيش الفرس الى مراثون وهي بلدة على شاطىء البحر تبعد عشرة اميال عن اثينا فالتقاهم عشرة الاف من اليونانيين تحت قيادة ملتيادس رجلٍ ذي دراية واقدام وشجاعة وهجم بجيشهِ على صفوف الفرس وانتشبت الحرب بين الفريقين في

سهل مراثون فانكسر الفرس وتشتت شملهم واندفعوا جميعاً يتهافتون الى البحر والتجأُوا الى المراكب طالبين النجاة بعد ان تركوا من القتلى نحو سبعة آلاف قتيل من جملتهم هيباس. واما قواد الفرس فانزلوا جيشهم ثانيةً املاً بالاستيلاء على اثينا فدفعهم اليونانيون مرةً اخرى وكسروهم شرَّ كسرةٍ فيئسوا من النصرة ونكصوا مخذولين

فاكتسب ميلتيادس بهذه النصرة شهرة عظيمة فجهزته ايضاً اثينا بعمارةٍ وجيشٍ لمحاربة الفرس في الجزائر التي كانوا قد استولوا عليها وطردهم منها فاستخلصها جميعاً الأَّ جزيرة پاروس فلم يقدر عليها ولما عاد الى اثينا اتهمهُ اهلها بانهُ قد ارتشى من الفرس فالقوهُ في سجنٍ ثم مات بعد ذلك بقليلٍ من جروحهِ

وكان يومئذٍ في اثينا رجلان معتبران احدهما اريستيدس الصديق وهو افضلهم في ذلك العصر وكان وقتئذٍ في المنفى. والثاني ثيموستكليس الذي لما راى الخطر المحدق ببلادهِ من الفرس حرض قومهُ على تكثير سفنهم فانقادوا اليهِ وانشأُوا نحو مئة سفينة

وفي تلك الاثناء توفي داريوس وخلفهُ ابنهُ زركسيس الاول فاستعد للانتقام من اليونانيين وجهز في ظرف اربع سنين عمارة بحرية عدد سفنها الف ومئتا سفينة وجيشاً ينوف عن المليون وتقدم لمحاربتهم ولما صار بالقرب من اثينا عزم يونان اسبرطه

واثينا مع بعض حلفائهم على مصادمة الفرس والثبات الى النهاية فتقدم ليونيداس ملك اسبرطه بعدد قليل من الرجال منهم ثلاث مئة من اهالي اسبرطه والتقى الفريقان في مضيق ثرموبلي وهو مضيق بين جبلين في ثساليا وابتدا القتال ودام يومين وهلك كثيرون من الفرس ولم يستطيعوا ان ينفذوا من ذلك المضيق وكان عددهم الكثير كالعدم اذ لم يقدروا ان يحاربوا جميعًا يدًا واحدة ولولا الخيانة لفاز اليونانيون الى النهاية . لان رجلاً يونانيًا من ثساليا ارى الفرس طريقًا اخر بين الجبال فهجموا على ليونيداس ورجالهِ من وراءِ ومن قدام وضايقوهم جدًا ولما ايقن ليونيداس بالهلاك صرف جميع من معهُ من الرجال الَّا الثلاث مئة الاسبرطيين وسبع مئة غيرهم احبوا ان يموتوا معهُ وثبتوا يدافعون ويحاربون حتى هلكوا جميعًا الَّا رجلين. وفي نفس ذلك الوقت اضطرمت الحرب بين المراكب اليونانية والفارسية وكان اليونانيون قد فازوا في اول الامر ولكن لما بلغهم موت ليونيداس تاخروا واتوا شطوط اثينا بقرب جزيرة سلمينه وتقدم الفرس ونهبوا البلاد وافسدوها فهرب سكان اثينا الى السفن ودخل الفرس المدينة ونهبوها واحرقوها

وحينئذٍ طلب ثيموستكليس ترجيع اريستيدس الصديق من منفاهُ فاخذ الاثنان مع رجل آخر من اسبرطه قيادة السفن البحرية وحدث وقعة عظيمة بين سفنهم وسفن الفرس

وكان عدد الاولى ثلث مئة سفينة والثانية الف ومئتين فدارت الدائرة على الفرس وانكسرت مراكبهم وكان زركسيس جالسًا في البر على مكانٍ عالٍ مشرفٍ على ساحة القتال فلما راى انكسار سفنهِ خاف جدًا واذ بلغهُ ان اليونانيين عازمون ان يقطعوا عليهِ الطريق باحراقهم الجسر هرب حالاً وقطع البوغاز وجاء الى ساردس تاركًا ثلثين الف مقاتل تحت قيادة صهرهِ مردونيوس في مراثون لكي يجدد الحرب في الربيع . فاجتمع جيشا اثينا واسبرطه وكان عددهما مئة الف وعشرة آلاف مقاتل تحت قيادة پوزانياس من اسبرطه واريستيديس الصديق وهاجموا مردونيوس وصار بين الفريقين وقعة مهولة في سهل بيوطيا فانكسر الفرس انكسارًا عظيمًا ولعبت بهم ايدي سبا وقتل مردونيوس وفي نفس الوقت كانت الحرب قائمة بحرًا عند شطوط اسيا الصغرى ودارت الدائرة فيها ايضًا على الفرس . اما زركسيس الذي كان لم يزل في ساردس فلما بلغهُ خبر انكسار عساكرهِ برًا وبحرًا انهزم راجعًا الى بلادهِ حيث قتلهُ بعد قليل احد اتباعهِ

اما اليونانيون فطمعوا بعد هذه النصرات في محاربة الفرس وحرضوا اهل ايونيا على طرح نير الفرس وتخلصهم من عبوديتهم واعانوهم على ذلك واستخلصوا منهم جزيرة قبرس . ثم اتوا مدينة بيزانتيوم اي القسطنطينية ونهبوها ثم رجعوا الى بلادهم بالغنى

والغنائم وشرعوا في ترميم اثينا وتحصينها وتزيينها وتوسيع ميناها فاضحت ابهى مدن ذلك العصر

وتقوّى اليونانيون بعد ذلك واسترجعوا مدنهم شيئًا فشيئًا ولما رأى بوزانياس قائدهم العام انهم يريدون تنكيسهُ اخذ يكاتب ملك الفرس سرًّا واعدًا اياهُ بان يسلمهُ بلاد اليونان بشرط ان يزوجهُ ابنتهُ وان يكون نائبًا لهُ على البلاد التي يسلمهُ اياها فاشتبه اليونانيون بهِ ودعوهُ الى مجلسهم فبرّر نفسهُ اذ لم يكن لهم حجة ظاهرة يمسكونهُ بها ولما وقعت بيدهم بعد ذلك رسائلهُ الى زركسيس ارادوا ان يقبضوا عليهِ فهرب والتجأ الى هيكل بلاس فلم يقدروا ان ياخذوهُ من هناك اذ حسب عندهم حرامًا مسك من التجأ اليهِ فسدّوا عليهِ الباب فمات جوعًا وقيل ان امهُ هي اول من اخذ حجرًا فوضعتهُ على باب الهيكل وان الباقين لما رأوا ذلك فطنوا لسد الباب. ثم نفوا ثيموستكليس لانهم اتهموهُ بالاشتراك معهُ فالتجأ الى اعظم عدوّ لهُ وهو زركسيس الثاني ملك الفرس الذي قبلهُ وترحب بهِ وانعم عليهِ فاقام عندهُ الى يوم وفاتهِ . وقام بعد ثيموستكليس رئيسًا للاراكنة ارستيدس الصديق وبعد موتهِ تولى الرياسة سيمون بن ملتيادس ثم نفوهُ وتولّى مكانهُ بريكليس ثم دعوهُ بعد خمس سنين وولوهُ قيادة الجيش وكانت المخاصمات يومئذٍ مشتدة بينهم ولكي يلاشيها لم يجد لها علاجًا انفع من اشهار الحرب على الفرس ثانيةً فانتصر

عليهم في عدة وقائع وافتتح الجانب الاعظم من جزيرة قبرس التي كانت تابعة لهم ولما راى زركسيس ملك الفرس ان مملكته قد ضعفت من الحروب الكثيرة المستطيلة اضطرّ الى ان يطلب الصلح فاجابهُ سيمون الى ذلك تحت الشروط الثلثة الآتية وهي اولاً انهُ يرفع يدهُ عن ممالك اليونان في اسيا الصغرى فتكون ممالك مستقلة بذاتها . ثانيًا ان يمنع سفنهُ عن السير في ابحرهم . ثالثًا ان لا تتخطأ عساكرهُ اكثر من ثلثة اميال ضمن حدود المنازل اليونانية . اما سيمون فلم يتمتع بثمرة اعمالهِ العظيمة اذ توفي من جرح اصابهُ في حصار جزيرة قبرس سنة ٤٤٩ ق م وبقي بريكليس رئيسًا في اثينا بعد موت سيمون مدة عشرين سنة واهتم كثيرًا بتحصينها وتزيينها وفي عصرهِ بلغ اهلها الدرجة القصوى في الصنائع والفنون ومعامل البناء لاسيما بالنقش والتصوير واشتهرت بالمعارف والعلوم

الفصل السابع والعشرون

في حرب الموره

لما وقعت الحرب بين مملكة كورنثوس وجزيرة قرسيرا المسماة الآن قرفوس حرض فركليس الاثينيين على مساعدة اهل قرسيرا فحُسِب ذلك عند الاسبرطيين نقض العهد الذي اقيم بين ممالك اليونانيين فاشتبكوا جميعًا في حرب شديدة فكان من الجهة الواحدة اسبرطه وكورنثوس وجميع ممالك الموره

الى ارغوس واكثر الممالك الشمالية . ومن الجهة الاخرى اثينا وتسالبا وبعض جزائر الارخبيل وكان عدد جيش اسبرطه نحو ستين الف مقاتل تحت امر ارخداموس ملكهم وعدد جيش اثينا نحو اثنين وثلثين الفًا لكنها فاقت على اسبرطه كثيرًا في قوتها البحرية واشتغلت هذه الحرب مقدار ٢٨ سنة تارةً انتصرت اثينا واخرى اسبرطه وكان في السنة الثامنة والعشرين رئيس جيش اسبرطه رجلٌ شهير اسمهُ ليساندر فانتصر على الاثينيين في وقعة بحرية وحاصر مدينة اثينا برًّا وبحرًا حتى سلّمت ثم عُقِدَت شروط الصلح وصارت اثينا تحت حكم اسبرطه التي صارت من اقوى ممالك اليونانيين

واما ليساندر فابطل الحكم الجمهوري من اثينا وجعل مكانهُ ثلثين رئيسًا تحت امر حكومة اسبرطه الذين ظلموا الاثينيين ظلمًا شديدًا وقتلوا منهم في برهة ثمانية اشهر الف وخمس مئة نفس ثم قام عليهم الاثينيون تحت امر رجل اسمهُ ثرسيبولوس وطردوهم ورجعوا الحكم الجمهوري. وفي هذا العصر عاش سقراط اشهر فلاسفة اليونانيين وكان يعلّم بوجود اله واحد فقط وبابدية النفس خلافًا لاوهامهم فاشتُكي عليهِ بانهُ افسد عقول الصغراء فحُكِم عليهِ ان يُقتَل بشرب عصير الشوكران وكتب تعاليمهُ بعد موتهِ تلميذاهُ افلاطون وزينفون

وفي آخر زمان حرب الموره توفي داريوس نوثوس ملك

فارس وخلفهُ ابنهُ زركسيس الثاني وكان لهذا اخٌ اسمهُ كورش الذي حسب وصية ابيهما تولى على لوديا والولايات المجاورة لها فقام كورش هذا على اخيهِ قاصدًا عزلهُ عن الملك والارتقاء اليهِ بنفسهِ وتقوَّى باستخدام عشرة آلاف من عساكر اليونانيين تحت امر كلبارخوس رجلٍ شهيرٍ من اسبرطه فانتصر زركسيس عليهم في وقعة بقرب بابل وقُتِل كورش في الحرب ثم مكر ملك فارس بكلبارخوس وقتلهُ وبعد ذلك انتخب عشرةُ آلاف زينفونَ رئيسًا عليهم واخذوا في الرجوع الى بلادهم وقاسوا مشقاتٍ كثيرة من البرد والجوع والاعياء اذ اضطروا ان يمرُّوا باراضي اعدائهم من بابل الى شاطىء البحر الاسود وهي مسافة الف ومئتي ميلٍ ولم يستريحوا حتى وصلوا الى مدينة طرابزون وهي كولونيا لليونانيين

ولما كان اليونانيون القاطنون في اسيا الصغرى قد قاموا على زركسيس مع كورش المذكور سابقًا ارسلت اسبرطه عساكر لمعونتهم تحت امر اجيسلاوس ملك اسبرطه فوقعت الحرب ثانيةً بين اليونانيين والفرس فحرض ملك الفرس ممالك الموره ان يقوموا على اسبرطه فالتزم اجيسلاوس ان يرجع الى بلادهِ لحمايتها وبعد حرب عدة سنين عُقِد الصلح تحت شرط تسليم اسيا الصغرى وجزيرة قبرس للفرس وجزيرة لمنوس وسيروا وابرولاثينا وانعقد ذلك الصلح سنة ٣٨٧ ق م

الفصل الثامن والعشرون

في جمهورية طيوا وثيبة

ان طيوا كانت مدينة معتبرة من بيوطيا ولما كانت الحروب مضطرمة بين اثينا واسبرطه وضعفتا كلتاهما تقوت طيوا حتى صارت قصبة للاراضي والمدن المجاورة لها فخافت اسبرطه لئلاً تزيد قوة طيوا وسطوتها فارسلت جيشًا واخذت المدينة واقامت عليها ولاةً من قبلها فقتلوا كثيرين من اهاليها وهرب اخرون الى اثينا منهم رجلان اسم الواحد ابامنونداس والاخر بلوبداس فقاما على ظالم بلادهما وقتلاهُ بمساعدة بعض اهالي المدينة فاضطرمت بسبب ذلك حرب شديدة بين اسبرطه وطيوا فانتصر جيش طيوا بقرب لوكترا احدى مدن اركاديا في الموره واخربوا ليكاونيا بالنار والسيف حتى ابواب اسبرطه ذاتها وعادوا الى بلادهم ثم تجددت الحرب بعد برهة يسيرة وانتصرت طيوا ولكن قتل ابامنونداس

وبقرب هذا الوقت حدث في مكدونية قلاقل كثيرة اذ توفي امنتاس ملكها تاركًا ثلثة بنين فشرع هولاء يتنازعون الملك فطلب المكدونيون الاسعاف من طيوا فارسلت جيشًا تحت امر بلوبداس لكي يصلح احوال تلك البلاد وعند وصوله الى هناك ثبت الملك في يد فردكاس واخذ اخاهُ فيلبس

وثلثين من اولاد اكابر البلاد رهنًا وارسلهم الى طيوا وفيلبس هذا صار ملكًا على مكدونيا بعد حين وهو ابو اسكندر الكبير وفي مدة اقامته هناك تعلم قواعد الحكم والحرب من ابامنداس وبلوبداس. وبعد عقد الصلح بين طيوا واسبرطه لم يحدث بين اليونانيين امر مهم حتى زمان الملك فيلبس المذكور

الفصل التاسع والعشرون

في تاريخ مملكة مكدونية

ان بداءة تاريخ هذه المملكة مظلم والمعرفة بها غير حقيقية قبل ان مؤسسها واول ملوكها كرانوس عاش سنة ٧٩٤ ق م وكان امنتاس ابو فيلبس المذكور سابقًا السادس عشر من كرانوس

قد تقدم ان فيلبس تعلم في طيوا امورًا مفيدة وكان عمره وقتئذٍ عشر سنين فاقام فيها نحو اثنتي عشرة سنة ولما بلغهُ خبر قتل اخيهِ هرب من طيوا سرًّا فوجد اهل بلادهِ مكتئبين جدًّا من قتل ملكهم فردكاس في وقعة مع اهل ايليريا وكان لفردكاس ابن صغير فاخذ فيلبس على نفسهِ ان يكون وصيًّا لهُ ويحكم باسمهِ الّا انهُ بعد قليل طلب المكدونيون ان يكون هو الملك وانهم لا يريدون طفلًا ان يملك عليهم فاجاب طلبهم وملك سنة ٣٦٠ ق م وعمرهُ حينئذٍ خمسٌ وعشرون سنة

ثم اخذ في تدبير الوسائط لاخضاع باقي الممالك اليونانية وضمها الى مملكتهِ . واذ كانت اثينا واسبرطه قد ضعفتا مع

الحروب مع الفرس وكانت طيوا ايضًا قد وهنت من حروبها مع اسبرطه اخذ يزرع الفساد بين تلك الممالك وكان له في جميعها خَدَمةٌ من اهلها واكابرها ساعدوهُ في اجراء مقاصدهِ . وفتح بقرب مدينة فيلبي معادن من الذهب والفضة استخرج منها كل سنة مبلغًا وافرًا من المال فغلب بالدراهم اذ لم يستطع ان يغلب بالسلاح وفي السنة الرابعة من ملكهِ ولدت زوجتهُ اولمبياس ابنًا في مدينة بلاَّ وسمَّاهُ اسكندر ووكل بتعليمهِ وتهذيبهِ ارسطاليس الفيلسوف

وبقرب هذا الزمان انشبت حرب شديدة بين ممالك اليونانيين سميت الحرب المقدسة وسببها ان اهل فوسيا وضعوا ايديهم على اراضٍ تابعة هيكل ابولون في دلفيس فحكمت عليهم المشورة الامفكتيونية ان يدفعوا مبلغًا وافرًا للتكفير عن هذا الذنب فلم يخضعوا لهذا الحكم بل ادعوا بانهم احق من غيرهم بتدبير اوقاف الهيكل وصيانتها فاضطرمت عند ذلك الحرب مدة عشر سنين بين فوسيا واثينا واسبرطه من جهة وطيوا ولوكريا وثساليا من اخرى ثم عرض فيلبس نفسهُ وسيطًا ومصلحًا بينهم وصيروهُ عضوًا من اعضاء المشورة الامفكتيونية خلافًا لارادة الاثينيين اذ كان دمستين الخطيب يحذرهم دائمًا من فيلبس ويريهم ان مقصدهُ نزع حريتهم واخضاعهم تحت سلطانهِ وكان بعد ذلك ان اهل لوكريا ايضًا وضعوا ايديهم على اوقاف هيكل

دلفيس وابوا الخضوع للمشورة الامفكتيونية فدعت المشورة فيلبس لكي يجري حكمها غصباً . ولما اجابهم متقدماً الى بلاد اليونان بجيشهِ راى دمستين نتائج عملهِ هذا متوجهة الى اخضاع البلاد كلها فحرض اهل اثينا وطيبوا على مقاومتهِ فجمعوا جيشاً والتقت الفئتان بقرب خيرونيا احدى مدن بيوطيا فانتصر فيلبس وملك بلاد اليونانيين باسرها واذ كان يستعد لمحاربة الفرس قتلهُ بوزانياس احد اتباعهِ في عرس ابنتهِ في السنة السابعة والاربعين من عمرهِ وخلفهُ ابنهُ اسكندر

الفصل الثلثون

في تاريخ اسكندر

ان اسكندر بن فيلبس الملقب عند الافرنج با لكبير وعند العرب بذي القرنين ملك على مكدونية وكان عمرهُ يومئذٍ عشرين سنة واظهر من صغرهِ شجاعة نادرة وفطنة قوية . قيل انهُ لما بلغهُ مرةً نجاح ابيهِ وانتصارهُ في حروبهِ قال بغمٍ لقد غلب ابي على العالم بسيفهِ ولم يترك لي شيئاً اغلب عليهِ بسيفي. وعند وفاة فيلبس فرحت اثينا وغيرها من بلاد اليونان فرحاً زائداً اذ ترجوا العود الى حريتهم الاولى ولم يحسبوا اسكندر الحديث السن حقيقاً بان يخشى منهُ. وكان دمستين الخطيب يحذرهم منهُ كما حذرهم من ابيهِ

وحارب اسكندر اولاً اهل ثراقيا وايليريا فانتصر عليهم

واخضعهم ثم اتى بكل قوتهِ على بلاد اليونان وكانت طيوا قد عصت بعد موت ابيهِ فاتى اليها واستفتحها وهدمها وباع نحو ثلثين الفًا من اهاليها عبيدًا ومن ثم سلمت لهُ جميع البلاد فجمع وكلاءهم الى مدينة كورنثوس واظهر لهم قصدهُ في محاربة الفرس كما قصد ابوهُ فصيروهُ رئيس الجيوش وكان عندهُ نديم من عهد ابيهِ اسمهُ برمينيو واخرون من امراء ابيهِ ورؤسائهِ ذوو اخبار وآراء مصيبةٍ في امور الحرب ثم عبر بوغاز الدردنيل بجيشٍ عددهُ ثلثون الف راجل وخمسة آلاف فارس ومعهم ذخائر تكفيهم شهرًا واحدًا فقط واثقًا بالنصر والفتح

وكان ملك الفرس وقتئذٍ داريوس قدمانوس فعزم ان يكسر شوكة اسكندر حالاً داعيًا اياهُ الصبي المجنون فلاقاهُ عند نهر غرانيكوس بجيشٍ عددهُ مئة الف راجل وعشرون الف فارس فانتصر اسكندر عليهم وقُتِل من الفرس على قول بعضهم عشرون الفًا ومن عسكر اسكندر اربعة وثلثون رجلاً وفي ذات هذه الوقعة هجم اثنان من امراء الفرس على اسكندر وكادا يقتلانهِ لولا مساعدة كليتوس احد امرائهِ . فسلمت لهُ بعد هذه النصرة اكثر اسيا الصغرى. وفي السنة الثانية اتى داريوس بجيش عددهُ ست مئة الف مقاتل فلاقاهُ اسكندر في اراضي الوعر بقرب مدينة ايسوس في كيليكيا وانتصر عليهِ وقُتل من الفرس مئة الف وعشرة آلاف رجل ومن عسكر اسكندر اربع مئة وخمسون

نفساً فهرب داريوس ليلاً وعبر نهر الفرات ووقعت امرأتهُ وابنتاهُ وامهُ في يد اسكندر فاكرمهنَّ وأمَّنهنَّ وارسل داريوس اليهِ رسلاً طالباً ان يفدي نساءهُ بمبلغ وافر جداً وانهُ يعقد الصلح معهُ فيزوجهُ بابنتهِ ويمهرها كل الاراضي الواقعة بين نهر الفرات وبحر الروم فاجابهُ اسكندر انهُ يسلمهُ اياهنَّ بلا شرط اذا جاء بنفسهِ يطلبهنَّ

وبعد هذه النصرة سلّمت لهُ سوريا باسرها الاَّ مدينة صور فتقدم لمحاربتها وحاصرها سبعة اشهر وفتحها ثم تقدم الى غزَّة واستفتحها وغضب من شدة مقاومة اهلها فباع عشرة آلاف منهم عبيداً . ثم تقدم الى مصر فسلمت لهُ بدون حرب ووصل الى هيكل جوبتير امون على طرف الصحراء وبنى في مصر مدينة الاسكندرية . ثم بعد ذلك تقدم الى بلاد فارس فعرض عليهِ داريوس عقد الصلح فيسلمهُ جميع الاراضي الواقعة غربيَّ الفرات فابى قبول ذلك قائلاً ان العالم لا يطيق احتمال ربين كما انهُ لا يطيق احتمال شمسين فلاقاهُ داريوس بجيش عددهُ سبع مئة الف مقاتل وجيش اسكندر خمسون الفاً فانتصر اسكندر في وقعة صارت بقرب مدينة اربيلا في بلاد فارس فهرب داريوس الى ماديا ومن هناك الى بكتريا في بلاد التتر المستقلة وقتل هناك فبقي اسكندر مسلطاً على مملكة الفرس باسرها ثم تقدم الى الهند وانتصر على ملكها ولما راى عساكرهُ انهُ ليس نهاية

لانَّ عساكره ابوا ان يتقدموا اكثر وطلبوا الرجوع الى بلادهم فسار الى مدينة فرسيبوليس وهي من افخر مدن بلاد الفرس وحرقها حنقًا. ثم اتى الى بابل التي قصد ان يجعلها قصبة مملكتهِ الشرقية فابتدأ بعمارها وبعد ذلك ببرهة قليلة مرض ومات في السنة الثالثة والثلاثين من عمرهِ والثالثة عشرة من ملكهِ وذلك سنة ٣٢٣ ق م وكان قصدهُ ان يمضي من اسيا الى قرطاجنة وبعد اخضاعها يعبر الى اوروبا فيخضع اسبانيا وايطاليا ثم يعود الى مكدونيه فسقاهُ ملك العدل كاس الحمام وابطل مقاصدهُ. ومع ما نالهُ من رفعة الشان والمجد العالي كان ايضًا احمق سريع الغضب. فقتل برمينيو نديمهُ واشهر امرائهِ على تهمة وطعن كليتوس المشار اليهِ سابقًا بحربة فقتلهُ وقتل الفيلسوف كلستينس لانهُ لم يقدم لهُ اكرامًا دينيًا

الفصل الحادي والثلثون

في خلفاء اسكندر

ان اسكندر توفي ولم يعين خليفةً لهُ وبعد موتهِ ببرهة يسيرة ولدت امراتهُ ركسانا ابنًا فاخذ فردكاس احد امرائهِ على ذاتهِ ان يكون وصيًا لهُ وحكم باسمهِ ومن ثم حدث مخاصمات كثيرة بين بقية امراء اسكندر ورؤسائهِ انتهت بانقطاع نسلهِ فانقسمت املاك اسكندر الى اربع ممالك

الاولى مصر وتبعها بر العرب وجانب كبير من بر الشام

تولاها بطليموس الملقب سوتير

الثانية مكدونية وبلاد اليونان تولاها كساندر

الثالثة ثراقيا وبيثينية وبعض اقسام اسيا الصغرى تولاها ليساخوس

الرابعة بقية اسيا من البحر الاسود الى حدود النهر وسميت مملكة سورية تولاها سلوخوس وهي اعظمهنَّ جميعاً وكان هذا الانقسام سنة ٣٠٠ ق م

الفصل الثاني والثلثون

في تاريخ مصر في عصر البطليموسية

ان بلاد مصر بقيت تحت تسلط البطليموسية ٢٧٠ سنة اي من سنة ٣٠٠ ق م الى ٣٠ ق م وكان اولهم بَطْلِيموس لاغوس الملقب ايضاً سوتير الذي تقدم ذكرهُ وقيل كان ابن فيلبس من احدى جواريه وملك على مصر تسعاً وثلاثين سنة وكان عالماً حاذقاً محباً للعلماء وهو الذي ابتدا بجمع مكتبة الاسكندرية المشهورة وانشأ هناك مدرسة ومجموعاً لغرائب الدنيا ونوادرها وجدد مدناً كثيرة وفتح الترع المردومة واعتنى باتساع التجارة واصلاح امور الفلاحة والزراعة . وفي عصرهِ انضم الى مصر فلسطين وجانبٌ من بر الشام. وخلفهُ ابنهُ بطليموس محب الاخوة لُقِب بذلك تهكماً لانهُ قتل اثنين من اخوتهِ وتبع خطوات ابيهِ فكمل الترعة الجامعة بين البحر الاحمر ونهر النيل وفي عصرهِ

ترجمت اسفار العهد القديم من العبرانية الى اليونانية وهذه الترجمة تعرف بالترجمة السبعينية. وخلفهُ ابنهُ بطلميوس الملقب بالكريم ووقع حربٌ بينهُ وبين انطيوخوس ملك سوريه فانتصر بطلميوس. ولما كان غائبًا خافت عليهِ برنيكي امرأتهُ فنذرت نذرًا بانها ان رجع زوجها بسلام تكرس شعر راسها للزهرة ففعلت كذلك وبعد حين فقِد شعرها من هيكل الزهرة حيث وضعتهُ فخاف الحراس على نفوسهم من الملك ونجاهم احد المنجمين بقولهِ للملك ان الزهرة قد نقلت شعر الملكة الى السماء ووضعتهُ بين النجوم ومن ثم سُمّي مجموع من مجاميع النجوم شعر برنيكي. وتوفي سنة ٢٢١ ق م وخلفهُ ابنهُ بطلميوس محب الاب لقب بذلك تهكمًا اذ ظُنّ انهُ قتل اباهُ. قيل كان قاسيًا دمويًا واضطهد اليهود في كل مملكتهِ. وتوفّي سنة ٢٠٤ ق م وخلفهُ بطلميوس الملقب ابيفانيس اي الشهير وتوفي سنة ١٨٠ ق م وخلفهُ بطلميوس محب الام لقب تهكمًا لبغضهِ امهُ وتوفي سنة ١٤٥ ق م وخلفهُ بطلميوس فيسكون وتوفي سنة ١١٧ ق م وخلفهُ بطلميوس لاثيروس وكان اخرهم بطلميوس ديونيسيوس ملك سنة ٥١ ق م وعمرهُ حينئذٍ ثلث عشرة سنة فتزوج باختهِ كليوباطرة وكانت شهيرة جدًا لحسنها فقتلتهُ وملكت وحدها ولما انتصر الرومانيون على مصر قتلت نفسها لئلّا توخذ اسيرة ومن ثم صارت مصر جزءًا من المملكة الرومانية سنة ٣٠ ق م

الفصل الثالث والثلثون

في تاريخ سورية تحت تسلط الدولة السلوخدية

قيل انهُ بعد وفاة اسكندر اخذ انطيغونوس احد امرائهِ اكثر اقاليم سورية فقام عليهِ سلوخوس بن انطيوخوس احد امراء فيلبس فقتل انطيوخوس في حرب بقرب مدينة ايسوس في فريجية وثبت الملك في يد سلوخوس وهو اول ملوك الدولة السلوخدية التي بقيت من سنة ٣٠٠ الى سنة ٦٥ ق م وكان عدد ملوكها ثلثة وعشرين ملكًا ولُقِب سلوخوس هذا الغالب لانهُ انتصر في ثلاث وعشرين موقعة وبنى ست عشرة مدينة منها انطاكية التي صارت اعظم مدن الشرق وسلوقيا عند مصب نهر العاصي بقرب السويدية ومن هناك سافر بولس الرسول ليبشر بين الامم اع ١٣ : ٤ وافاميا على نهر العاصي شماليّ حماه ولاذقية على شاطئ البحر المتوسط

ووقعت حربٌ بين سلوخوس وليساخوس ملك ثراقيا المذكور سابقًا فقتل ليساخوس . وبعد وفاة سلوخوس خلفهُ ابنهُ انطيوخوس سوتير الذي في ايامهِ هجم الغالّيون على بلاد اليونانيين ولما طُرِدوا من هناك اتى قومٌ منهم فاستوطنوا في غلاطية وخلفهُ انطيوخوس ثيوس ق م ٢٦١ وبعد وفاتهِ خلفهُ سلوخوس كلنيكوس وفي عصر هذين عصى عليهما السفالبة

واهل بكتريا وطرحوا النير عن رقابهم وخلف كلنيكوس انطيوخوس الملقب بالكبير وحدث حربٌ بينهُ وبين بطليموس الكريم ملك مصر كما مرَّ . واخضع انطيوخوس اكثر اسيا الى حدود بلاد الهند وكان ابتداء ملكهِ سنة ٢٢٣ ق م . وفي عصره وقعت العداوة بين مملكتي رومية وقرطاجنة كما سيأتي فاتى الى انطيوخوس هنبال رئيس جيش قرطاجنة قاصداً ان يحرضهُ على محاربة اليونانيين وان يرسل جيشهُ الى ايطاليا ذاتها فلم يشأ ان يحاربهم في ايطاليا لكنهُ ارسل جيشاً ليطردهم من بلاد اليونانيين فانتصر الرومانيون عليهِ ومات سنة ١٨٠ ق م وخلفهُ ابنهُ انطيوخوس محب الاب ثم خلف هذا انطيوخوس ابيفانيس سنة ١٧٥ ق م وهو الذي دنَّس هيكل اورشليم وذبح خنزيراً على المذبح ونهب الهيكل والاواني المقدسة وابطل عبادة اليهود . ثم قام اليهود تحت قيادة المكابيين وانتصروا عليهِ وملكوا حربتهم وخلفهُ انطيوخوس اوباتير سنة ١٦٤ ق م ومن ثم لم تبطل الحروب والفتن والقتال بين السلوخدية الى عصر انطيوخوس الثالث عشر حين اتى بمبيوس القائد الروماني واستفتح سورية وفلسطين وضمها الى المملكة الرومانية سنة ٦٥ ق م

الفصل الرابع والثلثون

في بعض علماء اليونانيين وشعرائهم

الاول اوميروس وهو اشهر شعرائهم واقدمهم نشأ في ازمير

وعاش بقرب سنة ٨٤٤ ق م وله قصيدتان طويلتان انقسمتا الى عدة اسفار وشعره جيدٌ فصيحٌ قيل كان اعمى وطاف يتسأل وانشد قصائده قطعةً قطعةً في طوفانه

الثاني هسيودوس عاش في عصر اوميروس نشأ في ضيعة من بيوطيا لم يبقَ الاّ القليل من شعره منهُ قصيدة سُمّيت الاشغال والايام موضوعها امور زرعية وما يلزمها من ملاحظة الايام والفصول والاوقات . ومنهُ قصيدة سُمّيت نسبة الآلهة موضوعها مثولوجيا اليونانيين او اعتقاداتهم في تواليد آلهتهم وما حدث بينهم من المنازعة والخصومة والامور البشرية المختصة بكل واحدٍ منهم ومنهُ جزء قصيدة سميت ترس هيركليس موضوعها امور عجيبة متعلقة بترس هيركليس وذكر اشهر نساء القدماء . وشعرهُ جيدٌ لكنهُ لم يبلغ الى درجة اوميروس

الثالث ارخيلوخوس عاش في عصر كنداولوس اخر ملوك الدولة الهيركلدية في لوديا قيل نشأ في جزيرة فاروس ولم يبقَ من شعرهِ الاّ القليل واكثرهُ هجاءٌ فاحشٌ حتى انهُ لم يؤذن بقراءته في اسبرطه لئلاّ يفسد عقول الصغار

الرابع هيبوناكس عاش في افسس بعد عصر ارخيلوخوس ببرهة يسيرة وشعرهُ كشعرهِ وقيل اهجا منهُ

الخامس سفو وهي امراة اشتهرت بحلاوة نظمها ولم يبقَ الاّ اثنتان من قصائدها وقد ظنَّ اليونانيون ان قريحة النظم موهبةٌ

من قِبَل تسع الهات سموهنّ المُوزات ولحسن شعر هذه المراة لقبوها المُوزة العاشرة . وقيل ان سيرتها لم توافق حسن نظمها

السادس انكريون عاش في عصر ميباس المذكور سابقًا واقام غالبًا عند ملك ساموس واكثر اشعاره في التنزه والافراح واللذات الجسدية ويوجد كثيرون من الشعراء عدلنا عن ذكرهم خوف الاطالة

الفصل الخامس والثلثون
في حكماء اليونانيين السبعة

الاول تاليس المليتي من مدينة مليتوس في القسم الغربي من لوديا الذي سُمّي ايونيا وهو اول فلاسفة اليونانيين ومؤسس طائفة منهم سُمّيت الطائفة الايونيّة نسبةً اليه ومن جملة عقائده ان الماء هو عنصر جميع الاشياء وان الله خلق كل شيء من الماء. وهو اول اليونانيين الذي اطلع على علم الهيئة. وسافر الى مصر وادخل في تعليمه بعض عقائد مصرية ولما كان هناك اوجد واسطة سهلة لمعرفة علو الاهرام وذلك بملاحظة الوقت من النهار الذي فيه يكون طول الظل مساويًا لطول الجسم . قيل عاش سنة ٥٤٧ ق م

الثاني صولون وقد تقدم ذكرهُ

الثالث خيلو من لكديمون ولم يُذكَر عنهُ الاَّ قليلٌ . قيل سالهُ رجلٌ ما هو عمل جوبتير فقال يضع المستكبرين ويرفع

المتواضعين

الرابع فتاخوس من جزيرة لسبوس المسماه الآن متلين اومدلي . قيل لما وقعت حربٌ بين اهل لسبوس ومملكة اثينا كان فتاخوس رئيس الجيش فطلب منعًا لسفك الدم ان تكون المقاتلة بينهُ وبين فريبنون رئيس جيش اثينا وحدهما فبرزا كلاهما وظفر فتاخوس بخصمهِ وقتلهُ فملَّكهُ اهل لسبوس عليهم شكرًا واكرامًا لهُ وكان عادلاً محبوبًا عند رعيتهِ كافةً وبعد ان ملك عشر سنين استعفى من تلقاء ارادتهِ واسلم الملك

الخامس بياس لانعلم بهِ الاَّ قليلاً

السادس كليوبولوس ولانعلم بهِ الاَّ قليلاً قيل نشأ في جزيرة رودس وعاش في عصر صولون

السابع برياندر ملك كورنثوس

ومنهم من يحسب من حكماء اليونانيين رجلاً سقليبيًا اسمهُ اناخرسيس ويجب ان يحسب منها ايضًا ايسوبوس صاحب الامثال والالغاز المشهورة قيل كان لقمان قومهِ وربما اتخذت بعض امثال لقمان من امثالهِ

الفصل السادس والثلثون

في طوائف فلاسفة اليونانيين

اول هذه الطوائف واقدمها الايونية مؤسسها تاليس الملبني المتقدم ذكرهُ

الثانية الفيثاغورية مؤسسها فيثاغورس ومن عقائدها التناسخ

الثالثة السقراطية مؤسسها سقراط واكثر رغبة تابعيها في المعقولات

الرابعة الكيونية مؤسسها انتستينوس ومؤيدها ديوجنس رفضوا المعرفة والعلم كشيء لافائدة فيه وتجنبوا معاشرة الناس ولذات الدنيا وافراحها ودانوا كل انواع البشر ولاموهم ولذلك سُمّيت الكيونية من كيون اي كلب لانهم نجوا كل الامور ولم يرتضوا بشيء منها

الخامسة الاكديمية مؤسسها افلاطون وعلّم تلاميذهُ في غياض بقرب اثينا سميت غياض اكديموس

السادسة الكفرة مؤسسها فرّو ومن تعليمهِ انهُ لا يوجد شيءٌ حقيقيٌّ وان الحكمة متوقفة على عدم تصديق امرٍ من الامور

السابعة الستوكية مؤسسها زينون علّم تلاميذهُ في رواق من اروقة اثينا فتسموا الرواقيين ومن تعليمها وجوب احتمال المشقات والمصائب والاوجاع وكل الشرور بدون شكوى او مبالاة بها

الثامنة الابكورية مؤسسها ابكوروس ومن تعليمهِ انهُ يجب رفض كل شيء الّا التمتع بلذات الجسد وافراح الدنيا والى هتين الطائفتين أُشير في اع ١٧ : ١٨

التاسعة الفرافتية موسسها ارسططاليس واشتهرت تعاليمها جدًّا وتمسَّك بها في بلاد اوروبا اكثر من الف ومئتي سنة وفي جميع هذه الانواع من الفلسفة نرى حقيقية قول الرسول انهم اذ يزعمون انهم حكماء صاروا جهلاء رو ١: ٢٢

الفصل السابع والثلثون

في تاريخ قرطاجنة الى الحرب الاولى مع الرومانيين

ان مملكة قرطاجنة بقيت اكثر من سبع مئة سنة وانضمت الى المملكة الرومانية سنة ١٤٥ ق م . قيل تاسست في عصر يهوآش ملك يهوذا سنة ٨٤٦ ق م وكانت كولونيا لليونانيين فان امراةً اسمها ايليسا او ديدون من نسل ايثوبعل ابي ازابل امراة اخاب ملك اسرائيل هربت من صور خوفًا من اخيها فغماليون الذي كان وقتئذٍ ملك فينيقية فاتت الى بلاد تونس واشترت بعض اراضٍ من سكان تلك البلاد وسكنت هناك مع القوم الذين رافقوها من صور وهذه بداءة مملكة قرطاجنة التي صارت بعد حين من اقوى ممالك العالم ويؤيد كونها من اصل فينيقي مشابهة لغتها للُّغتين الفينيقية والعبرانية ثم امتدت هذه المملكة شيئًا فشيئًا الى ان تسلطت على اكثر شمالي افريقية وانضم اليها جزائر سردينيا وكورسكا وميوركا ومنوركا ومن ثم امتدت الى اسبانيا . وكان اهل فينيقية واليونانيون قد صنعوا منازل في سيسيليا وصارت سيسيليا مملكة ذات شوكة عظيمة

فاتاها اهل قرطاجنة وحدثت حربٌ طويلة بين المملكتين وارسلت ممالك اليونانيين عساكر لمعونة اهالي سيسيليا ثم اتى عليهم فرّوس ملك ابيروس واخذ اكثر مدنهم لكنهُ التزم ان يتركها لسبب الحرب الواقعة بينهُ وبين الرومانيين في ايطاليا ثم خاف اهل سيسيليا من الرومانيين الذين كانوا قد انتصروا في كل الجهات واقاموا عهدًا مع اهل قرطاجنة لكي يعينوا بعضهم بعضًا على الرومانيين واذ كانت سيسيليا قريبة الى ايطاليا لم يغفل الرومانيون عنها فارسلوا في وقت مناسب جيشًا واخذوها وهذه علة الحرب الاولى بين الرومانيين وقرطاجنة

الفصل الثامن والثلثون

في تاريخ الرومانيين القدماء

ان مدينة رومية تاسست سنة ٧٥٢ ق م وسميت بهذا الاسم من رومولوس بانيها وهو اول ملوكها وملك سبعًا وثلاثين سنة وقيل انهُ نوى ان يجعل نفسهُ ملكًا مستقلًا فخلعهُ الشعب ومزقوهُ اربًا. وبعد موتهِ خلفهُ نوما فمبليوس فسنَّ للشعب شرائع عديدة وعلّمهم الزراعة وعدة صنائع نافعة وملك ثلاثًا واربعين سنة وخلفهُ طوليوس هستيليوس فكان محبًا للحرب والغزو وبعد موتهِ انتخب الرومانيون انكوس مرتيوس ملكًا عليهم وخلفهُ تركوين الاكبر وخلف هذا سرفيوس فملك اربعًا واربعين سنة ثم قتلهُ صهرهُ المسمى تركوين الثاني وجلس مكانهُ فلما بلغ زوجتهُ ابنة

الملك المقتول هذا الخبر فرحت فرحًا عظيمًا بانتصار زوجها على ابيها حبًّا بالملك والرياسة وكان تركوين هذا جائرًا ظلومًا مرتكبًا الفواحش فلقبهُ الشعب بالمتكبر وكانوا يكرهونهُ جدًّا وبعد ان حكم نحو عشرين سنة طردوهُ مع عائلتهِ من رومية وسبب ذلك ابنهُ سكستوس فانهُ كان ذميمًا قبيحًا للغاية فمقتوهُ حتى لم يعد يمكنهم ان يحتملوا قباحتهُ ومعاصيهُ فنفوهُ مع ابيهِ سنة ٥٠٩ ق م واستلم زمام الحكومة بعدهُ قاضيان تلقب كل منهما بلقب قنصل وكان الشعب ينتخبون هولاء القناصل كل سنة واول من عُيّن لهذه الوظيفة بروتوس وكولاتينوس وكان بروتوس عادلاً محبًّا للوطن حتى انهُ حكم بموت ابنيهِ ولم يشفق عليهما بسبب جنايةٍ ارتكباها

الفصل التاسع والثلثون

في استيلاء الغالبين على رومية وحروب قرطاجنة الثلاث

انقسم سكان رومية الى اشراف وعامةٍ ومن الاشراف جميع ارباب المجلس العالي واكثر الاكابر وهم الذين انتخبوا القناصل ولذلك تقوّوا وعظمت شوكتهم فصاروا اصحاب الحل والربط فنشأ عن ذلك الفتن والمنازعات بين الطرفين حتى كادت تقع بينهما الحروب لكنهما اتفقا اخيرًا على ان ينتخب كل سنة خمسة اشخاص من وجوه العامة قضاةً في المحاكم فتحسنت بذلك احوال العامة وارتفع شانهم وانحطت سطوة الاشراف ثم اشتدت العداوة

بين الفئتين . فنهض في اثناء ذلك رجل من الاشراف اسمهُ كوربولانوس وكان بطلاً فشرع في ابطال منصب القضاة باذلاً الجهد في ذلك فقاومهُ العامة وحاربوهُ ونفوهُ من البلاد فذهب الى الفولسيين الذين هم من الدّ الاعداء للرومانيين واخذ يحرضهم على محاربة قومهِ واعداً اياهم بالغلبة فانقادوا اليهِ واعرضوا عليهِ فرسانهم وابطالهم فانتخب منهم جيشاً عظيماً وسار قاصداً رومية فلما بلغ الرومانيون اقترابهُ منها اضطربوا وارسلوا في الحال بعض شيوخهم يستعطفون خاطرهُ فلم يصغَ لكلامهم واستمر في مسيرهِ ثم ارسلوا بعض خواص كهنتهم فوقعوا على قدميهِ ملتمسين ان يحول عنهم ويغض النظر عن قبائحهم فلم يتمكنوا من تغيير مقاصدهِ . فنزل بعساكرهِ تجاه الاسوار واخذ يتفكر في ايجاد الطرائق المناسبة لمهاجمة المدينة واذا بسفارة ثالثة مؤلفة من نساء اشراف الرومانيين لابسات ثياب الاحزان وفي مقدمتهنَّ امهُ وامرأتهُ فاستغاثتا بهِ متضرعتين اليهِ ان لا يكون سبباً لخراب وطنهِ وهلاك قومهِ فاشفق عليهما لتذللهما والتفت الى امهِ وقال لقد انقذتِ رومية ولكنكِ ستعدمين ولدكِ ثم نهض في الحال راجعاً الى مدينة انتيوم قصبة مملكة الفولسيين الذين لما بلغهم رجوعهُ عن رومية اضمروا لهُ الحقد وعند وصولهِ الى ابواب المدينة اماتوهُ

ولم تزل المملكة الرومانية تتعاظم قوتها في الداخل والخارج

ويزداد عدد سكانها وبقيت في زهوتها ورونقها الى ان دهمها الغاليون سكان فرنسا سنة ٣٨٩ ق م تحت قيادة الجنرال برنُّوس وحاصروا رومية فافتتحوها بعد مهاجمات عديدة. وكانت رومية يومئذٍ مدينة عظيمة فيها ابنية فاخرة وقصور شاهقة اعظمها وامنعها قصر الكابيتول فلما افتتح الغاليون المدينة ودخلوها تجمع في القصر المذكور اكابر شجعان الرومانيين وحاصروا فيهِ فهجمت عليهم الاعداء كالجراد واحاطوا بالقصر فلم يتمكنوا منهُ واستمر الحال على ذلك مدة. وفي بعض الليالي بينما كان عسكر الغاليين قد اقترب من ابواب الحصن والحراس نيام ايقظهم صياح رفّ من الاوز فحرَّموا على انفسهم اكلهُ من ذلك اليوم. ولم يمضِ على ذلك وقت طويل حتى قام كاملُّوس احد ابطال الرومانيين وفتك بالغاليين حتى قيل انهُ لم يرجع احدٌ منهم الى بلادهِ

وصرف الرومانيون اكثر اوقاتهم في محاربة الدول والممالك الاجنبية فبرعوا في فن الحرب وظفروا كثيرًا في حروبهم حتى اخضعوا اخيرًا ولايات ايطاليا وملكوها واستولوا عليها

ثم حارب الرومانيون قرطاجنة بعد ان بنوا نحو مئة سفينة وانتصروا عليهم وغنموا منهم خمسين مركبًا ثم زادوا عدد سفنهم حتى بلغت ٣٠٠ سفينة وانتصروا على القرطاجنيين ثانيةً وغنموا منهم ستين مركبًا واستولوا على جزيرتي كورسيكا وسردينيا. ثم

قصدوا افريقية ونزلوا على مدينة قرطاجنة تحت رياسة القنصل ريغولوس وحاصروها حتى كادوا يتملكونها لولا مساعدة اهل اسبرطه الذين امدوا اهل قرطاجنة بجيش فانكسر الرومانيون وأُسِر قائدهم ريغولوس فارسلهُ القرطاجنيون الى رومية لكي يعرض على دولتهِ شروط الصلح. وعند وصولهِ الى رومية حرض الرومانيين على عدم قبول المصالحة بان طلب قرطاجنة صادر عن عجز وضعف . ثم عاد الى قرطاجنة لئلاَّ يناقض قولهُ فقتلوهُ وانتهت الحرب الاولى بعد دوامها ٢٣ سنة. وعند نهاية هذه المدة قام هنيبا ل بن هملكار رئيس جيش قرطاجنة في الحرب الاولى وحاصر احدى مدن اسبانيا التي كانت متحزبة للرومانيين مدة سبعة اشهر. ولما اشتد حصارها احرقها اهلها بالنار خوفًا من وقوعها في ايدي الاعداء . ثم تقدم هنيبا ل الى داخل البلاد قاطعًا جبال الالب الى شمالي ايطاليا وحارب الرومانيين في وسط بلادهم وانتصر عليهم في جملة وقائع وذبح منهم عددًا لا يحصى وقيل انهُ ارسل اربعة ربوع من خواتم ذهب نزعها عن اصابع القتلى وبقي نحو ١٢ سنة في ايطاليا لكنهُ لم ينجح النجاح التام لعدم الامداد. ثم جهز الرومانيون جيشًا عظيمًا تحت راية شيبيو الافريكاني فاستخلص املاك قرطاجنة من اسبانيا ثم تقدم في السفن الى سواحل قرطاجنة فلما راى اهلها الاخطار المحدقة بهم ارسلوا واستدعوا هنيبا ل لنجدتهم

فارتد راجعاً بعد مشقات لا توصف فالتقى هذان البطلان في مرج واسع من سهول افريقية واستعرت نار الحرب بين الفريقين ودارت الدائرة على عساكر قرطاجنة فانهزمت بعد ان قُتِل منها عددٌ عظيم. ثم انعقد الصلح بشرط تسليم القرطاجنيين جزائر البحر المتوسط مع سيسيليا واسبانيا وجميع مراكبهم ما عدا عشرة منها الى الرومانيين وبعدم اثارة حربٍ الّا باذن رومية وهكذا انتهت الحرب الثانية التي دامت ١٧ سنة

وبعد ٦١ سنة اي سنة ١٤٩ ق م شبّت الحرب الثالثة بين قرطاجنة ورومية وسببها ان ملك نوميديا التي هي الآن جزء من بلاد الجزائر كان بينهُ وبين رومية محالفة وعهود فاختلس بعض الولايات التابعة قرطاجنة فقام عليهِ القرطاجنيون وحاربوهُ فغضب الرومانيون لمخالفتهم العهود باثارة الحرب بدون اذن رومية وصمموا على محاربتهم وخراب المدينة عن اخرها فجندوا الجنود وارسلوها تحت قيادة شيبيو فحاصرها وافتتحها بعد حرب اربع سنين ثم احرقها بالنار وكان ذلك سنة ١٤٥ ق م

ثم رجع شيبيو الى رومية منصوراً فالبسوهُ اكاليل الغلبة والانتصار

الفصل الاربعون

في اخبار سيلا وماريوس الى قتل يوليوس قيصر

انهُ في سنة ٩١ ق م حارب الرومانيون ولايات ايطاليا المجاورة لهم فاخضعوها ثم حاربوا متريداتوس ملك بنطس وبعد اربعين سنة انتصروا عليهِ انتصارًا تامًا وفي اثناء تلك الحرب قام في رومية قائدان شهيران وهما ماريوس وسيلا فتحزَّب لكل منهما قومٌ من الاهالي فوقعت بينهما الغيرة والعداوة حتى الجاهما الحال الى القتال فحدث من ذلك حربٌ اهلية استمرت مدة طويلة وكانت الدائرة اولاً على ماريوس وجموعهِ لكنهُ انتصر اخيرًا على خصمهِ وهزمهُ واستولى على رومية ثم انتقم من اخصامهِ فحدثت مذبحة عظيمة بين الاهالي قُتِل فيها كثيرون من ارباب الوظائف والمجالس والاشراف في الاسواق . اما ماريوس فبارتكابهِ هذا العمل وبخهُ ضميرهُ ليلاً ونهارًا ولكي يتخلص من ذلك انصب على شرب المسكرات ليسلي نفسهُ فاصيب بحمى شديدة صرمت حياتهُ . ولما بلغ سيلا موتهُ قصد رومية بجيشٍ جرار فامتلكها ودعا نفسهُ الحاكم المطلق وسلك كسالفهِ في قتل المتحزبين عليهِ لكنهُ بعد برهة قصيرة خلع نفسهُ عن معاطاة الاحكام ففرح الجميع بذلك لانهم كانوا يكرهونهُ ثم مات بعد ذلك بقليل

وبعد موت سيلاَّ قام في رومية قائدان عظيمان احدهما بومبيوس والاخر يوليوس وكان بومبيوس قد افتتح خمس عشرة مملكة واخذ ثمان مئة مدينة وتغلب على متريدانس واما يوليوس فكان قد اثار حروبًا كثيرة على فرانسا وجرمانيا وبريطانيا وقيل انهُ انتصر في حروبهِ على ثلثة ملايين من الناس وقتل نحو مليون منهم. ثم داخل هذين الحسد والطمع وظهرت بينهما العداوة فانقسم الشعب الى حزبين حسب اغراض القائدين فانفرد كل منهما بحزبهِ واقتتلا في فرسالِيا. وكان قسمٌ كبير من جيش بومبيوس من اشراف الرومانيين الاحداث فلم يستطيعوا الوقوف امام فرسان يوليوس فولوا منهزمين فانتصر يوليوس على عدوهِ انتصارًا عظيمًا وهرب بومبيوس الى مصر فقتل هناك وأُتي براسهِ الى يوليوس فحزن على موتهِ وناح عليهِ لكنهُ لم يرد ان يراهُ. وفرح ارباب المجلس الروماني بانتصارهِ ومنحوهُ السلطة المطلقة ما دام حيًّا ولقبوهُ بقيصر وحكموا على شخصهِ بالقداسة فصنعوا لهُ تمثالاً واقاموهُ بين تماثيل الالهة في الكابيتول بقرب تمثال المشتري وكتبوا عليهِ تمثال قيصر نصف الاله. ولما راى قيصر اعتبار الشعب اياهُ لم يرغب الاَّ في ان يسمي نفسهُ ملكًا فوجّه افكارهُ لاستمالة رضا الشعب والعساكر واخذ ينفق المبالغ الوافرة في الولائم وانواع المسرَّات لاستجلاب خواطرهم نحوهُ فمن ذلك وليمة عظيمة دعا اليها جميع الجيش الروماني فكان مدعوًا في

اسواق رومية ٢٢ الف مائدة مملوءة بالاطعمة اللذيذة وافخر المشروبات ولم يُمنَع احدٌ من الجلوس سواءٌ كان صعلوكًا ام حقيرًا فسلموا لهُ بما اراد واذ كان متصفًا بالصفات الحميدة والحذاقة نسوا انهُ خدعهم بهذه التملقات واعدمهم حرية بلادهم فسرُّوا بمشاهدتهِ في المواسم والولائم العمومية جالسًا على عرشٍ ذهبي وعلى راسهِ اكليل مرصع بالجواهر

ولكن مع ذلك لم يخلُ الامر من وجود بعض الرومانيين الذين استمروا متمسكين بمحبة الحرية محبة مجردة فكان بعضهم يبغض قيصر لظلمهِ وبعضهم حسدًا وغيرةً من تقدمهِ فاتفقوا على قتلهِ واسرعوا في استعمال الوسائط لاهلاكهِ وكان رئيسَي هذه الفتنة بروتوس وكاسيوس وكان بروتوس محبًا لقيصر ومحبوبًا منهُ غيرانهُ راى ان واجباتهِ لتحرير وطنهِ تلزمهُ ان يتظاهر بقتل صديقهِ واما كاسيوس ففضلاً عن رغبتهِ في تحرير البلاد كان يبغض قيصر ويتمنى هلاكهُ حسدًا على عظمتهِ . وكان اكثر من ستين من اعضاء السناتوس في هذه الفتنة . فلما اتى اليوم المعيَّن لقتلهِ دخل قيصر السناتوس حسب عادتهِ وجلس فاحاطوا بهِ وضربوهُ واما هو فردَّ عن نفسهِ بكل شجاعة حتى راى بروتوس بين الخائنين فقال وانت ايضًا يا بروتوس ثم التفَّ بردائهِ ومات بعد ان جُرِح ٢٣ جرحًا في السنة السادسة والخمسين من عمرهِ والرابعة عشرة بعد حروبهِ في غاله وبعد حصولهِ على

السلطنة العظمى بخمسة اشهر وذلك سنة ٤٤ ق م

واصلح قيصر هذا الحساب السنوي الذي كان قد اختلف كثيرًا عما كان في ايام نوما فمفيليوس فان نوما كان قد قسم السنة الى ٣٥٤ يومًا ولكن اذ كان هذا العدد ناقصًا عن عدد ايام السنة الحقيقية ١٠ ايام و٦ ساعات التزموا ان يزيدوا ثلثة اشهر لكل سنة وسموا تلك السنة كبيسة وسلّم وضع هذه الزيادة للكهنة الذين وضعوها ام لم يضعوها حسب ارادتهم فحصل من ذلك اختلاف زائد عما كان في ايام نوما . اما قيصر فاذ كان عالمًا في علم الهيئة وعلم ان السنة الكاملة هي ٣٦٥ يومًا و٦ ساعات زاد على سنة نوما ١٠ ايام ولئلا تضيع الست ساعات حكم بزيادة يوم كامل في كل سنة رابعة في اخر شهر شباط. وزيّن ايضًا مدينة رومية وحفر ترعًا في الاجام البنطينية التي افسدت مناخ رومية بالبخارات السامّة الصاعدة منها وجمع مكاتب وعمر مينا على مصب نهر طيبر

الفصل الحادي والاربعون

في ما جرى بعد موت يوليوس

اما الشعب الروماني فلم يوافق الخائنين على قتل يوليوس قيصر وكان مرقس انطانيوس حينئذٍ قنصلاً وليبدوس امير الفرسان فجمع مرقس انطانيوس الشعب وخاطبهم وكشف امامهم جثة قيصر وحرضهم على قاتليه حتى التزموا ان يهربوا

من رومية ويختفوا في اطراف المملكة وقصد انطانيوس بذلك ان يرتقي الى الدرجة التي سقط منها قيصر وكان قد حصل على ذلك لولا وصول اقتاويوس قيصر حينئذٍ الى رومية وعمرهُ ١٨ سنة وكان عند قيصر المتوفي بمنزلة الابن اذ كان حفيد اختهِ ولما اتى هنا وادَّعى بقرابتهِ لقيصر احتضنهُ الشعب حالاً ثم اتفق انطانيوس واقتاويوس ولبيدوس على انقسام السلطنة بينهم فاخذ انطانيوس غاله واقتاويوس افريقية والجزائر ولبيدوس اسبانيا اما ايطاليا فبقيت مشتركة بينهم واما الاملاك الشرقية فكانت بيد بروتوس وكاسيوس واخرين من الخائنين الذين كانوا في ثراقيا ومعهم جيش عددهُ مئة الف مقاتل فصار الاتفاق على ان يمضي انطانيوس واقتاويوس بجيش الى مقاتلة بروتوس ومن معهُ غير انهم قبل ذلك قتلوا كل من ظنوا فيهِ سوءًا ومنهم سيسيرون الخطيب ثم تقدما الى مكدونيا والتقى الجيشان بقرب فيلبي وكانت النصرة لاقتاويوس وانطانيوس ولما راى بروتوس وكاسيوس ذلك وقع كلٌّ منهما على سيفهِ ومات

ثم مضى انطانيوس الى اسيا لكي يجمع خراجًا ولما كان في كيليكيا استدعى كليوباطرة لتجاوب عن نفسها لانها سمحت لوالي قبرس ان يرسل ذخائر الى كاسيوس وبروتوس فاتت اليهِ باحتفال عظيم فمن حسنها وحيلها صار انطانيوس اسيرها عوض

ان تكون هي اسيرهُ ونسي كل شي سواها فوهبها سورية ومصر وقبرس وافريقية وطلق امراتهُ اخت اقتاويوس لكي يتزوج بها

ثم ان بمبيوس الاصغر كان قد اختلس سيسيليا وسردينيا وكورسكا فمضى اقتاويوس الى هناك واقام على جيشهِ مرقس اغريفوس الذي انتصر على بمبيوس الاصغر فهرب الى اسيا فقتلهُ هناك بعض اسرى انطانيوس. وقصد اقتاويوس ان يتخلص من شريكيهِ فاحتال بعساكر ليبدوس حتى اتوا اليهِ ولما راى ليبدوس عدم استطاعتهِ على مقاومة خصمهِ مضى الى ضيعة حقيرة وبقي هناك الى آخر حياتهِ ثم استعد اقتاويوس لمحاربة انطانيوس وجرى بينهما وقعة بحرية انتصر فيها اقتاويوس وهرب انطانيوس وكليوباطره الى مصر فتبعهما اقتاويوس الى هناك فراسلتهُ كليوباطره وعرضت عليهِ مصر بدون معرفة انطانيوس ظانَّةً انها تصطاد اقتاويوس كما فعلت بخصيمهِ فاظهر لها القبول فسلمت لهُ سلطنة مصر ثم تقدم الى بيلوسيوم المسمَّاة الآن دمياط فسلمها واليها بامر الملكة ثم سلمت المراكب كافةً . فلما راي انطانيوس ان ملكتهُ قد خانتهُ وقع على سيفهِ فمات . ولما رات كليوباطره ان اقتاويوس غدر بها ولم يحسبها الاَّ اسيرًا قتلت نفسها لئلاَّ توخذ الى رومية وعاد اقتاويوس الى رومية وهو وحدهُ راس المملكة الرومانية فانتهت الجمهورية الرومانية بجلوسهِ على كرسي الملك سنة ٣١ ق م

الفصل الثاني والاربعون

في علوم الرومانيين وبعض مشاهيرهم

ان الرومانيين اتّصفوا في عصر ملوكهم وفي اوائل مملكتهم بشدة الباس وبالشجاعة وبساطة العيشة وبعدم المبالاة باللذات الطبيعية وبمحبة الوطن والرغبة القوية في اتساع مملكتهم وتشييدها وكانت هذه الاوصاف علة امتداد الحكم الروماني من التسلط على مدينة واحدة الى ان اكتنف جزءًا عظيمًا من العالم المعروف حينئذٍ فلم تنقص عنايتهم بتعليم الاولاد وتربيتهم عما قيل في اهل اسبرطه من ذلك غير ان ليكورغوس مشترع اسبرطه وضع قوانين وشرائع في ما يخص الصغار. اما نوما المشترع الروماني فترك ذلك لارادة الوالدين . ففضائل الامهات الرومانيات واجتهادهنّ بحسن تربية اولادهنّ قد استحقت الشكر في جميع العصور لانهُ فضلاً عن استعمال الوسائط لتقوية الجسد قصدنَ ايضًا تهذيب العقل واعتنينَ على الخصوص بتحسين الكلام وفصاحة اللفظ فمنعنَ الاولاد عن معاشرة العبيد وادنياء الشعب لئلاّ يكتسبوا شيئًا من الاقوال الرذيلة عالمات ان الكلمات السيئة تفسد الاخلاق الجيدة . ثم عندما اتسعت المملكة وبطل الحكم الملكي وصار السلطان الاعظم بيد الشعب والسناتوس اعتنوا كثيرًا بدرس الفقه ولم يُعتبَر

بينهم الأَّ من كان فقيهاً وخطيباً فصيحاً . واذ كان الانشاء واسطة عظيمة لاكتساب الفصاحة اجتهدوا فيهِ كثيراً فبلغوا من جراه الى درجة سامية من العلوم الادبية كافةً واشتهر بعضهم في العلوم الرياضية ايضاً وقد بقي من تصانيفهم في الشعر والتاريخ والفلسفة الى هذه الايام ما يُضرَب بهِ المثل ومن شعرائهم انيوس كتب قصيدة تاريخية في حروب رومية وقرطاجنة وقصيدة يمدح بها شيبيو الاكبر لم يبقَ في ايامنا الأَّ بعض القطع منها ومنهم فلاوطوس وسيسيليوس وترنتيوس ولكن اشهرهم فرجيليوس وهوراتيوس عاشا في عصر اوغسطس قيصر. ومن اشهر مورخيهم بوليبوس قيصر وتاسيتوس وغيرهما . وبقي الى ايامنا خطبٌ لسيسيرون وكتابٌ لهُ في الفصاحة وآخر في الوظائف ولافلينيوس بعض اسفارٍ في الطبيعيات. ومن شعرائهم اوفيديوس فكتب كثيراً في خرافاتهم الدينية وبقي من اشعارهِ كتابٌ سُمّي المسوخ لانهُ يذكر قصص اشخاصٍ قد ظن ان الالهة مسخوهم الى صور مختلفة

الفصل الثالث والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط اوغسطس قيصر الى طيباريوس

قد تقدم ان المملكة الرومانية استقرت في يد اكتاويوس قيصر بعد نصرتهِ على انطانيوس فلُقِّب اوغسطس اي الموقر واكرمهُ الشعب والسناتوس اكراماً دينياً وسموهُ امبراطوراً

وعمروا له هياكل وقدموا على مذابحها قرابين وذبائح اكرامًا له . واذ تذكر ما اصاب يوليوس وغيرهُ ممن اظهروا ميلاً الى اختلاس السلطان الاعظم من الشعب اظهر زهدًا كليًا في الحكم وطلب ان يُقدّم له اكرام الشعب في اطراف المملكة فقط اي من الذين ليسوا اصلاً رومانيين وادّعى انهُ لم يُرِد ان يحسب في رومية الا كواحد من الرعايا مقلدٍ من قبل الشعب الروماني لاجل خير المملكة وحفظ سلامتها واجراء احكامها وصيانة حقوق اهاليها وحريتهم واذ لم يكن له خصيم عمّ الصلح المملكة باسرها وحصل سرور عند الجميع . وزادت بعد ذلك وجاهتهُ وتمكنت قوتهُ فقوّم اشياء كثيرة منحرفة وادخل تراتيب مفيدة وحسنة آلت الى اثبات السلطان في يدهِ . ومع ذلك لم يكن في أمنٍ على نفسهِ وكان موت يوليوس دائمًا تجاه عينيهِ . وفي السنة السادسة والعشرين من ملكهِ وُلد في بيت لحم اليهودية ربنا ومخلصنا يسوع المسيح قبل السنة الاولى من التاريخ المسيحي باربع سنين

وكان اوغسطس قد تزوج بارملة اسمها ليڤيا وكان لها من زوجها الاول ابنٌ اسمهُ طيباريوس واعطاهُ اوغسطس ابنتهُ زوجةً وجعلهُ شريكًا له في الحكم وطلب من الشعب ان يجعلوهُ رئيسًا على اقاليم افريقيا الشمالية وبيثينيه وبنطس وبلاد اليونان ومكدونيا وايليريا ودلماطيا وكريد وسيسيليا وسردينيا فاجابوهُ

الى ذلك . وبعد برهة قليلة توفي اوغسطس في مدينة نولا في كمبانيا في السنة السادسة والسبعين من عمره وفي وصيته عيَّن طيباريوس خليفةً له

واما طيباريوس فلم يكن محبوبًا عند الشعب الروماني لرداءة طبعهِ ومرارة لسانهِ وتولعهِ بالفواحش . ومع ذلك وقع خوفهُ في قلوبهم فاخضعوا له كما اخضعوا لاوغسطس قبلهُ وكان طيباريوس وقتئذٍ في ايليريا ولما بلغهُ موت اوغسطس عاد راجعًا الى رومية فارسل السناتوس وكلاء من اعضائهم ليلاقوهُ فيعرضوا عليهِ الملك فقبلهم باظهار الاتضاع والزهد في السلطنة وتشكى من ثقل امور المملكة وعدم استعدادهِ لقبول تلك الوظيفة وبعد ما اكتفى من تضرُّعهم اليهِ والحاجهم سلم لارادتهم وكان ذلك سنة ١٤ ب م ولما استقر الملك في يدهِ اجرى الاحكام حسب مشيئتهِ وقلما التفت الى الشعب والى السناتوس ولما راى نجاح جرمانيكوس ابن اخيهِ في الحروب مع اهل جرمانيا اختشى من وجاهتهِ فاسترجعهُ من جرمانيا وارسلهُ الى الشرق وهناك قتل مسمومًا ويُظَنّ ان ذلك كان بامر طيباريوس

ثم ان الجنود الذين عينهم روميولوس لحفظ الملك كان عددهم حينئذٍ عشرة الاف رجل من ابطال عساكر المملكة ودُعوا الاجناد الشحنية وكان رئيسهم رجل اسمهُ سجانوس فاتخذهُ طيباريوس نديمًا له واظهر له كل ما في قلبهِ فاراد سجانوس

ان يجعل محبة الملك تؤول الى تعظيمهِ وقصد ان يحوز القياصرة ويضع نفسهُ مكانهم فقتل دروسوس بن طيباريوس خفيةً وحرّض الملك ان ينفي ارملة جرمانيكوس وابنيها ولم يمرّ يوم لم يشتكِ فيهِ سجانوس على بعض الاكابر او يدّعِ عليهم بالخيانة او بذنب آخر فيامر الملك بقتلهم ثم خاف على نفسهِ فحثّهُ سجانوس ان يترك رومية فمضى الى جزيرة كبري بقرب نابولي وهناك سلم ذاتهُ الى اللذات الطبيعية على نوعٍ يفوق الوصف . وكانت جميع امور المملكة في يد سجانوس فلم ينقص عن الملك الّا بالاسم فقط ولما قصد ان يقتل طيباريوس انكشفت خيانتهُ فقُبِض عليهِ ومُزّق جسدهُ اربًا اربًا وطُرِح في نهر طيبر

ثم ان اوغسطس كان قد ملّك على فلسطين هيرودس الكبير ولما توفي هيرودس انقسم ملكهُ بين اولادهِ فاخذ ارخيلاوس اليهودية وهيرودس الجليل وفيلبس الاراضي الواقعة شرقًا وشمالًا من بحر طبرية واذ كان ارخيلاوس ظالمًا رديًا اشتكى عليهِ اليهود فدعاهُ اوغسطس اليهِ ثم نفاهُ الى فينا وولّى على اليهودية ولاةً اولهم كيرينوس سنة ٧ ب م وخامسهم بيلاطس البنطي من قبل طيباريوس

وفي السنة الثامنة عشرة من ملك طيباريوس في ولاية بيلاطس صُلِب في اورشليم ربنا يسوع المسيح كفّارة عن خطايا البشر.

قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي في الكتاب الثامن عشر من تاريخهِ في الفصل الرابع منهُ بعد الكلام في اعمال بيلاطس والي اليهودية كان ايضاً في هذا الوقت رجلٌ اسمهُ يسوع ان جاز ان يُدعَى انساناً وكان صانع عجائب كثيرة ومعلماً للذين ارادوا ان يتعلموا الحق وكان لهُ تلاميذ كثيرون من اليهود والامم وهو المسيح الذي اشتكى عليهِ رؤَساؤُنا واكابر امتنا وسلمهُ بيلاطس البنطي للصلب ومع هذا كلهِ لم يتركهُ الذين تبعوهُ من البداءة وقد نُظِر اليهِ حيّاً ثلثة ايام بعد صلبهِ كما كان قد تنبأَ بعض الانبياء وصنع معجزات أُخَر كثيرة ولم يزل الى يومنا بعضٌ يُدعَون مسيحيين يعترفون بهِ ربّاً لهم . انتهى

وكان قائد العساكر الشحنية بعد موت سجانوس رجلٌ اسمهُ مكرو فلما مرض طيباريوس في مدينة سينم خنقهُ مكرو في السنة الثالثة والعشرين من ملكهِ والثامنة والسبعين من عمرهِ

الفصل الرابع والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط كليغولا الى تيطس

ان طيباريوس عيَّن خليفة لهُ كليغولا بن جرمانيكوس وكان محبوباً عند الشعب حبّاً بابيهِ فاظهر في بداءة ملكهِ لطفاً ورغبةً في خير الجمهور وراحة الشعب . وبعد برهةٍ يسيرة شرع يظلم حتى كرههُ الشعب فقتل مكرو المذكور سابقاً لانهُ خاف منهُ وقتل ايضاً كل من وقعت عليهِ تهمةٌ بدون فحص واذ كان

هو من نسل مرقس انطونيوس واوغسطس قيصر جعل ذلك سبباً للقساوة والظلم فقال ان كل الذين لم يحفظوا عيد وقعة اكتيوم التي انتصر بها اوغسطس على انطونيوس يقاصهم لكونه من نسل اوغسطس المنتصر في تلك الوقعة والذين حفظوهُ يقاصهم لكونهِ من نسل انطونيوس المغلوب فيها. وعاقب ايضاً الذين حزنوا على موت اختهِ قائلاً كان يجب ان يعرفوها الاهة ولا يبكوا عليها وعاقب الذين لم يحزنوا اذ لم يحزنوا على اخت الملك ووضع جزية ثقيلة على اقسام المملكة جميعها وكان ظالماً بخيلاً متكبراً حتى انهُ دعا ذاتهُ يوماً جوبتير واخر بخوس واخر عطارد وفي السنة الرابعة من ملكهِ والتاسعة والعشرين من عمرهِ قتلهُ رجلٌ من قواد العساكر الشخصية

وخلفهُ كلوديوس سنة ٤٢ ب م وكان جباناً سخيف العقل ضعيف الراي والعمل فجلس على كرسي الملك لما كان عمرهُ خمسين سنة فدُعي قيصر لكونهِ من نسل اوقتاويا اخت اوغسطس. فاخذ يصلح احوال المملكة ويعاكس ترتيب كليغولا ظاناً انهُ يرضي الشعب بمخالفة من كان مكروهاً لديهم. وكان لهُ خمس نساء منهنَّ واحدة شريرة فاجرة ضُرِب بها المثل اسمها مسالينا فقتلها وتزوج باغريبينه ابنة جرمانيكوس وكانت كالاولى في الشر والسماجة وكان لها ابنٌ من زوجها الاول اسمهُ نيرون فاخذت تحتال لكي يكون ابنها خليفة الملك فتبناهُ

كلوديوس وزوجهُ بابنتهِ اوقتاويا وانكر ابنهُ بريطانيكوس فلقّب ابن اغريفينا نيرون كلوديوس قيصر ولما رأت ان الطريق لارتقاء ابنها قد تسهلت قتلت زوجها كلوديوس بسمٍ في السنة الرابعة عشرة من ملكهِ والثالثة والستين من عمرهِ

وخلفهُ نيرون سنة ٥٤ ب م وكان شريرًا متوحّشًا الى درجة لم يبلغ اليها احدٌ من اسلافهِ فسلّم ذاتهُ للسكر والفواحش والحمق فقتل الفيلسوف سنيكا وامهُ اغريفينه وبريطانيكوس بن كلوديوس ثم تنازل من شرفهِ وجاهد في الملاعيب كواحد من ادنى الناس واشعل مرةً مدينة رومية ليلاً ونظر الى الحريق من قصرٍ عالٍ لكي يرى شيئًا شبيهًا بحريق مدينة طرواده. ولما راى غيظ الشعب من ذلك الفى تهمة بهذا العمل الردي على المسيحيين وحرق كثيرين منهم بالنار ورمى كثيرين منهم للوحوش الضارية وانشأ اضطهادًا عموميًا عليهم في كل المملكة وفي احد هذه الاضطهادات قتل الرسولان بطرس وبولس حسب راي الاكثرين

ثم قام رجلٌ شهير اسمهُ واندكس وحرّض الشعب على تخليص ذواتهم من هذا الظالم فاتحد معهُ غلبا والي اسبانيا وقويت الفتنة في رومية ذاتها حتى وصلت الى حراس شخص الملك فتركوهُ واما هو فاختفا في بيت عبدٍ كان قد عتقهُ سابقًا ولما راى السناتوس ما كان حكموا على نيرون بالموت ولئلاَّ يقع

في ايدي الشعب تضرَّع الى احد رفقائهِ ان يقتلهُ فوافقهُ على مرادهِ وكان ذلك في السنة الرابعة عشرة من ملكهِ والثلاثين من عمرهِ سنة ٦٨ ب م

وبعد وفاة نيرون اقام الحجائين والسناتوس مكانهُ غلبا المذكور وعمرهُ ٧٢ سنة فاظهر القساوة والبخل وانكر على العساكر العطايا التي كان قد وعدهم بها ولم يملك الّا سبعة اشهر فقط حتى قتلوهُ وخلفهُ فيتلّوس وجعل نيرون قدوةً لهُ واخذ يسير في خطواتهِ . ولكن لم تسمح العناية الالهية ان يبقى زمانًا طويلاً فان نيرون كان قد اقام على الحجائين في سورية وفلسطين ومصر قائدًا اسمهُ وسباسيانوس فلما راى هولاء ان الحجائين في الغرب ولّوا وعزلوا حسب ارادتهم اخذتهم الغيرة فنادوا باسم قائدهم وسباسيانوس ملكًا على المملكة الرومانية فارسل امراءهُ الى ايطاليا واخذوا مدينة رومية بالتسليم وقُتِل فيتلّوس في الشهر الثامن من ملكهِ وملك وسباسيانوس عوضًا عنهُ سنة ٧٠ ب م وكان مقبولاً عند الجميع ولما وصل الى رومية اظهر الشعب والسناتوس غاية الفرح. واذ كان من اصل غير شريف ارتقى الى درجة سامية بحذاقتهِ وتقلبت احوالهُ حتى صار ملكًا بعد ان كان خادمًا في عصر كليغولا وكلوديوس

ولما استقر الملك في يدهِ عفا عن جميع الذين حاربوهُ واذن لكل شخص ان يتقدم اليهِ ويشكو ضيمهُ . واعتبر السناتوس

كثيرًا وعرّفهم بجميع امور المملكة وعرض عليهم مقاصده كافةً. وفي ملكهِ انتهت الحروب بين الرومانيين وشعب اليهود الذين كان قد اخضعهم بمبيوس واذ كانوا لم يزالوا يهيجون الفتن والحرب ارسل نيرون وسباسيانوس لكي يخضعهم وكان قد اخضع بلادهم جميعها ما عدا اورشليم حين دُعي الى الملك فترك تيطس ابنهُ ليتمم ما ابتدا بهِ فاستفتحها سنة ٧٠ ب م وخربها وقلب أُسس الهيكل وبدد اليهود وفرّقهم وعاد الى رومية فتمت نبوات الانبياء والرب يسوع المسيح بالتدقيق. ومات وسباسيانوس بعد ان ملك تسع سنين واحد عشر شهرًا وخلفهُ ابنهُ تيطس سنة ٧٩ ب م وكان حليمًا اديبًا معتنيًا بامور المملكة وخير الجمهور فلُقِّب لذة البشر. قيل انهُ في مساء يوم اذ ذكر انهُ لم يعمل فيهِ شيئًا من اعمال الرحمة التفت الى من حولهُ قائلًا يا اصحابي قد ضيعت يومًا. وكان تصرفهُ بالرزانة والادب مجتنبًا الكلام الباطل والمزاح الخالي من الحكمة. واذ هاج بركان بزوف وخرب ثلاث مدن انفق على المصابين من خزائنهِ بكل سخاء فجذب بذلك الى ذاتهِ محبة الجميع وصار حزنٌ عظيم عند وفاتهِ في السنة الاربعين من عمرهِ والثالثة من ملكهِ ويُظنّ ان موتهُ كان بسمٍ سقاهُ اياهُ اخوهُ دومتيانوس الذي خلفهُ في الملك

الفصل الخامس والاربعون

تاريخ الرومانيين تحت تسلط دوميتيانوس الى ادريانوس

ان دوميتيانوس كان عكس تيطس في جميع خصاله وصفاته فاكثر الجواسيس وقتل اوجه الرومانيين على ادنى سبب والزم الناس بتقديم العبادة له داعيًا ذاته الهًا ونفى من رومية اكثر المعلمين والفلاسفة وانشأ اضطهادًا شديدًا على المسيحيين ولما انعزل من الناس أُولع بالتقاط الذباب وقتلها بمسلة قيل ان احد خدامه سئل يومًا هل عند الملك احد اجاب ولا ذبابة واذ كانت اعماله سيئة كرهه الشعب فاغروا اميرًا اسمه اسطفانوس على قتله فحضر اليه وناوله كتابًا وبينما هو مشغول بقراءته وثب عليه وقتله

ثم ان الذين قتلوه اقاموا مكانه رجلًا له من العمر سبعون سنة اصله من جزيرة كريت وهو اول ملوكهم الذين ليسوا من اصل روماني . وكان ضعيفًا في رايه وعمله فلم يستطع ان يخمد الفتن الهائجة في اماكن كثيرة من المملكة ولكي يثبت الملك في يده تبنى القائد تراجانوس الذي كان حينئذٍ مع الجائين في الحرب مع اهل بنونيا . ومات نرفا بعد ان ملك سنة واربعة اشهر وخلفه تراجانوس سنة ٩٨ ب م واصله من مدينة سيفيلا في اسبانيا وهو من افضل ملوك رومية خلقًا وادبًا ومن اقوام حكمة وسطوة

وكان قائدًا شجاعًا ماهرًا في كل متعلقات الحرب وتدبير الجيوش . وكان دابهُ ان يسير مترجلًا امام عساكرهِ ويشاركهم في جميع اثقالهم . ولما ملك اقام قائدًا على العساكر الشحنية واعطاهُ سيفًا قائلًا استعملهُ من اجلي ان ملكتُ كما يجب والّا فعليَّ . ومن حروبهِ التي انتصر فيها حربهُ مع الاشوريين وسكان الاراضي الواقعة بين النهرين والقبائل المجاورة بحر الخزر وشمالي بلاد العرب واهالي داسيا الواقعة شرقي بلاد اوستريا وتذكارًا لنصرتهِ عليهم اقام في رومية عمودًا علوهُ ١٣٢ قدمًا باقٍ الى الآن . وكان محبًّا للعلم والعلماء ومن مشاهير عصرهِ افلينيوس الطبيعي وجوفينال الشاعر وافلوترخوس وتاسيتوس المورخان . ومن عيوب ملكهِ سماحهُ باضطهاد المسيحيين اضطهادًا شديدًا . وتوفي في السنة الثالثة والستين من عمرهِ والتاسعة عشرة من ملكهِ

وادعى بالملك بعد وفاتهِ ايليوس ادريانوس وكان وقتئذٍ قائد الجائين في انطاكية واذ كانت قرابةٌ بينهُ وبين تراجانوس سلم لهُ السنانوس . واذ كان محبًّا للصلح ظن ان حدود المملكة كانت اوسع مما اقتضاهُ صلحٌ فترك البلاد التي استفتحها تراجانوس وسلم تدبيرها الى اهاليها واقام الجائين من ارمينيا والاراضي بين النهرين جاعلًا نهر الفرات حد المملكة شرقًا ثم اخذ على نفسهِ زيارة جميع اقطار المملكة وبقي على ذلك مدة ثلث عشرة سنة وحيثما توجَّه دفع المظالم واجرى الاحكام بالعدل وعمَّر مدنًا

جديدة وزين القديمة ورمم الخربة ومنها مدينة اورشليم وسماها ايليا كاتولينا واقام فيها هياكل لالهة الرومانيين وعلى الخصوص هيكلاً لجوبتير مانعاً اليهود عن الدخول اليها ووضع على احد ابوابها صورة خنزير لكي ينجسها في اعينهم واجتهد بان يمحو اثار اليهود والديانة المسيحية فاجتمع اليهود جمهوراً غفيراً وقتلوا كثيرين من الرومانيين والمسيحيين القاطنين في اليهودية فارسل ادريانوس جيوشاً وقلب مقدار الف مدينة من مدنهم الباقية وقتل ست مئة الف من رجالهم . ثم في السنة الثانية والعشرين من ملكهِ تبنى رجلاً صالحاً اديباً اسمهُ تيطس اوريليوس انطونينوس وعينهُ خليفتهُ في الملك وفي السنة ذاتها وقع في مرضٍ مميتٍ واذ ايقن بقرب وفاتهِ خاطب نفسهُ بهذه الكلمات الدالة على اعتقادهِ بابدية النفس وجهالتهِ بحالها بعد فراق الجسد . قال يا نفسي يا لطيفة يا جوّالة شريكة هذا الجسد وضيفة الى اين تريدين المضي الآن ضعيفة مجرّدة والّا قليلاً متلاشية لما لا تمازحين كدأبكِ القديم. ثم مات في السنة الثانية والعشرين من ملكهِ والثانية والستين من عمرهِ سنة ١٣٨ ب م وخليفة تيطس انطونينوس المذكور سابقاً؛

الفصل السادس والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط تيطس انطونينوس الى برتيناكس

انهُ في زمان ملك تيطس انطونينوس لم يحدث في المملكة

امورٌ تستحق الذكر وذلك لحسن تدبير الحكم وللصلح العمومي والراحة الحاصلة من ذلك وكان الملك يقول ان بقاء واحد من رعيتهِ احبُّ اليهِ من موت الف من اعدائهِ فكان محبوبًا عند الشعب ومكرمًا عند الغرباء . وتوفي في السنة الرابعة والسبعين من عمرهِ بعد ان ملك ثلثًا وعشرين سنة

وخلفهُ صهرهُ مرقس اوريليوس انطونينوس الملقب بالفيلسوف لتولُّعهِ بالفلسفة الرواقية وألَّف كتابًا في هذه التعاليم سماهُ تاملات وهو باقٍ الى الآن وكان لهُ اخ شرير اسمهُ لوسيوس فيروس فاشركهُ في الحكم . ولما عصتهُ القبائل المجاورة بحر الخزر ارسل فاخضعهم . ثم عصاهُ قبائل جرمانيا ونزلوا على المورة وافسدوها فتقدم مرقس واخوهُ لوسيوس حسب راي السناتوس لاماتة هذه الفتنة فمات لوسيوس قبل دخولهِ ساحة الحرب وبقي مع المحاربين ثمان سنين في نواحي نهر دونو في اوستريا ولشدة البرد والصعوبات التي اضطرَّ ان يقاسيها في معارك الحروب مرض ومات في السنة التاسعة والخمسين من عمرهِ والتاسعة عشرة من ملكهِ وهو آخر الملوك الذين سماهم الرومانيون الملوك الخمسة الصالحين . وكانت المملكة الرومانية من وفاة دوميتيانوس الى وفاة مرقس انطونينوس ناجحة زاهية اذا قابلناها بشرور غيرهم ممن تقدم او خلف . غير ان ما شان ملك الانطونيين هو الاضطهادات التي سمحا بها على المسيحيين وفي ملك اولهما

الف يوستينيوس الشهيد كتابهُ المسمى حجة الديانة المسيحية وقدَّمهُ للملك نفسهِ

وخلف مرقس ابنهُ كومودس سنة ١٨٠ ب م وكان شريراً فقتل في السنة الثالثة عشرة من ملكهِ والثانية والثلاثين من عمرهِ وكانت اكثر رغبتهِ في المجاهدة بالملاعيب كواحد من العامة واقتدي بنيرون . وكان قتلهُ من جراء فتنة هيجها ليتوس قائد العساكر الشحنية ثم اعطى الملك لرجل شريف النسب كان متسلم رومية وقتئذٍ اسمهُ بوبليوس هلفينيوس برتيناكسْ فاخذ على ذاتهِ ان يصلح احوال المملكة واجرى الاحكام بالعدل والرحمة واللطافة ولما اراد ان يحصر قوة العساكر الشحنية في القواعد العسكرية القديمة اجتمع نحو ثلث مئة منهم الى دارهِ وقتلوهُ بعد ان ملك ستة وثمانين يوماً

الفصل السابع والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط ديدبوس الى ديسيوس

انهُ بعد موت برتيناكسْ باع العساكر الشحنية الملك لرجل اسمهُ ديدبوس يوليانوس . فنادى الجائين الذين كانوا في سوريه بقائدهم برسينوس نيجر ملكاً والذين كانوا في بريطانيا نادوا بقائدهم اكلوديوس البينوس ملكاً والذين كانوا في ايليريا نادوا بقائدهم سبتيموس سيفيروس ملكاً فتقدم سيفيروس الى رومية بغاية السرعة ولما علم العساكر الشحنية بقدومهِ تركوا

بوليانوس وما لوا اليه وتبعهم السناتوس فحكموا بقتل بوليانوس وكان ذلك بعد ان ملك ستة وستين يوماً . ثم امر سيڤيريوس العساكر الشحنية ان يجتمعوا بدون اسلحتهم في سهلة خارج المدينة فاحاط بهم بغتة بالجائين الذين كانوا تحت امره في ايليريا فوبخهم على قتلهم برتيناكس وبيعهم الملك ثم طردهم جميعاً وشتتهم ولم ياذن لاحد منهم ان يتقدم الى رومية باقرب من مئة ميل ثم انتخب اجناداً شحنية جديدة من بلاد مختلفة واذ راى عدم استطاعته على مقاومة البينوس ونيجر معاً صاحب الاول وارضاهُ ثم تقدم الى الشرق وحارب الآخر فانتصر عليهِ وقتل نيجر في الحرب . ولم يبالِ بعد ذلك برضا البينوس فتقدم لمحاربتهِ وجرت الوقعة بينهما بقرب مدينة ليون في غالة فانتصر سيڤيريوس وقتل البينوس . ثم اخذ بعد ذلك يضعف السناتوس ويرضي عساكرهُ وحكم حكماً مطلقاً حسب ارادتهِ وانما كان ذلك على نوعٍ من العدل واظهر حكمةً وفطنةً ليست بقليلة في تدابير المملكة ورتب العساكر وحفظهم تحت القوانين المناسبة وسافر الى بريطانيا وعمَّر حائطاً بين انكلترا وسكوتسيا من بحرٍ الى بحر لكي يمنع مهاجمة القبائل ومات في مدينة يورك في انكلترا في السنة الثامنة عشرة من ملكهِ سنة ٢١١ ب م

وخلفهُ ابنهُ كركلاَّ وكان دموياً شريراً قتل اخاهُ وجرح امهُ وفتك باكابر الناس وقتل منهم نحو عشرين الف نفس ثم

اضطرب واخذهُ القلق والوسواس من جرى ذلك ولازمهُ الوهم والخوف فكان يرى كثيرًا احلامًا مزعجة ويلهي ذاتهُ عنها بالولائم والالعاب المختلفة ولما راى جندهُ حالة المهانة وانحطاط ناموس دولتهم بوجودهِ قتلوهُ وهو يومئذٍ في سورية بدسيسة مكرينوس الذي خلفهُ وقُتِل مكرينوس بعدان ملك اربعة عشر شهرًا

وخلفهُ هليوغابولوس ولهُ من العمر ١٤ سنة وكان بديع الحسن والجمال فلُقّب بسيانوس اي الشمس لحسنهِ وتزيى في اكثر الاوقات بزي النساء فلبس قلادة من ذهب في عنقهِ واساور من الذهب في يدهِ وكان ينشر في قصرهِ انواع الزهور والرياحين وتحت رجليهِ الفضة والذهب فاستقبح الناس افعالهُ فقاموا عليهِ وقتلوهُ في السنة الرابعة من ملكهِ

وخلفهُ ابن عمهِ اسكندر سيفيربوس سنة ٢٢٢ ب م وكان شابًا متأدبًا اعتنت بهِ امهُ من صغرهِ وحكم بالعدل والانصاف ولم يكن يقبل في ديوانهِ احدًا من ارباب الملاهي والآلات من المغنين كباقي اسلافهِ وبعد ان ملك نحو اربع عشرة سنة قتل في السنة التاسعة والعشرين من عمرهِ في فتنة هيجها مكسيمين قائد احد الجائين وهو رجلٌ من ثراقيا ادخلهُ سيفيربوس بين الفرسان لشدة باسهِ ونشاط جسمهِ فملك مكسيمين ثلث سنين ثم قتل سنة ٢٣٨ ب م

وخلف مكسيمين ملكان عيّنهما السناتوس وهما مكسيمس وبلبينوس فقتلتهما العساكر الشحنية بعد ان ملكا اقل من سنة وملكوا شابًّا شريفًا اسمهُ كرديان وعمرهُ وقتئذٍ ثلاث عشرة سنة فقُتِل في السنة الثامنة عشرة من عمرهِ سنة ٢٤٤ ب م وملك مكانهُ قائدٌ من قواد العساكر اسمهُ فيلبس قيل كان عربيٌّ الاصل وملك خمس سنين ثم قُتل في وقعةٍ صارت بينهُ وبين ديسيوس احد قواد العساكر وملك عوضًا عنهُ ديسيوس المذكور سنة ٢٤٩ ب م فقتل سنة ٢٥١ ب م في حرب مع الغوث وهم قومٌ متوحشون متبربرون اصلهم من اسوج ونروج فرحلوا الى الجنوب وكانوا يومئذٍ حالين في بروسيا واوستريا ونزلوا على املاك الرومانيين في تلك النواحي وصارت الوقعة المذكورة في ميسيا وهي القسم الشمالي مما يسمّى الآن برّ الترك في اوروبا ومن ثم نزلوا على اليريا والاقاليم المجاورة وافسدوها

الفصل الثامن والاربعون

تاريخ الرومانيين من تسلط غالوس الى اوريليانوس

انهُ بعد موت ديسيوس ملّك السناتوس غالوس احد شهراء دولة ديسيوس فاخذ يرضي الغوث ووعد بان يدفع لهم مبلغًا وافرًا كل سنة فيتحوّلوا عن تخوم الرومانيين فاخذوا المبلغ لكنهم لم يجزوا بوعدهم وما زالوا ينزلون على بنونيا وايليريا فعزم ايميليانوس والي تلك البلاد على ان يطردهم فانتصر عليهم ثم

عصى غالوس ومال اليهِ الشعب والعساكر فقُتِل غالوس وملك عوضاً عنهُ ايميليانوس سنة ٢٥٣ ب م فملك اربعة اشهر ثم قتلهُ العساكر وخلفهُ ڤليريانوس قائد الجائين غاله وجرمانيا

وكان عمر ڤليريانوس حين ملك ستين سنة وكان من اصل شريف مكرماً محبوباً عند الجميع ولما راى هموم المملكة ثقيلة عليهِ لسبب كبر سنهِ اشرك معهُ في الحكم ابنهُ غليينوس الذي لم يكن مستحقاً هذه الوظيفة السامية . وفي عصرهما كانت المملكة في حروب ومقاتلات ومصائب لكثرة الاعداء المحيطة بها . منهم قبائل الفرانك الذين سكنوا في الشمال الغربي من جرمانيا وهجموا على غاله وطردهم قائد من قواد الرومانيين اسمهُ بستوموس ومنهم السويڤا الساكنون على شطوط نهر البا في سكسونيا وسُمُّوا ايضاً اليماني فهجموا على ايطاليا في غيبة ڤليريانوس في الشرق وغليينوس في غاله فلاقاهم العساكر الشحنية والشعب وطردوهم فعادوا الى جرمانيا ومنهم الغوث المار ذكرهم الذين هجموا على الموره واسيا الصغرى وحرقوا هيكل ديانا في افسس ثم عادوا الى نواحي نهر دونو ومنهم سابور ملك الفرس الذي تقدم الى نهر الفرات وطرد الرومانيين من بعض املاكهم في تلك النواحي ثم ترك ڤليريانوس الحرب مع قبائل جرمانيا بيد القواد وتقدم الى محاربة سابور فأُخِذ اسيراً ومات في العبودية . ثم ملك غليينوس وحدهُ . واما سابور فتقدم الى سوريه واستفتح مدينة

انطاكية ونهبها وحرقها واخضع كيليكية وكبدوكية. وفي هذا الوقت قام اودينانوس احد اكابر مدينة تدمر وجمع جيشاً وانتصر على سابور وطرده الى بلاده ثم ملك اودينانوس على اكثر الشرق ولما مات خلفته امرأته زينوبيا وكانت متادبة متعلمة حسنة الراي والعمل وجميلة الخلقة. وصارت مملكة تدمر تحت حكمها قوية واشتهرت جداً الى عصر الملك اوربليانوس كما سياتي

ثم قُتِل غليينوس سنة ٢٦٨ ب م وخلفهُ كلوديوس الثاني احد القواد العسكرية فانتصر على الغوث ثم مات من وبأٍ في نواحي نهر دونو في بنونيا سنة ٢٧٠ ب م وعيّن خليفة له اوربليانوس اشهر قواده الذي ملك اربع سنين وتسعة اشهر وفي تلك المدة انهى الحرب مع الغوث وطرد قبائل جرمانيا من ايطاليا وخلص غاله وبريطانيا واسبانيا من يد تتريكوس الذي كان قد ادعى بالملك عليها واخذ زينوبيا ملكة تدمر اسيرة الى رومية وبقيت هناك الى يوم وفاتها واذ كان في الطريق قام عليهِ بعض قوادهِ وقتلوهُ سنة ٢٧٥ ب م

الفصل التاسع والاربعون

في تاريخ الرومانيين تحت تسلط تاسيتوس الى غليريوس

وبعد موت اوربليانوس الزم السناتوس تاسيتوس احد اعضائهم ان يملك عليهم وكان قد اتى عليهِ يومئذٍ خمس وسبعون سنة فحكم بالعدل ستة اشهر ثم مات في كبدوكية سنة ٢٧٦ ب م

وخلفهُ بروبوس احد قواد العساكر وكان شجاعاً حكيماً وانتصر على قبائل الفرانك في غاله واخذ جزية من قبائل جرمانيا وادخل سنة عشر الفاً من شبانهم بين عساكر الرومانيين ثم قُتِل في فتنةٍ هاجت بين عساكرهِ سنة ٢٨٢ ب م وخلفهُ كاروس قائد العساكر الشحنية فتقدم الى الشرق وانتصر على الفرس ومات هناك سنة ٢٨٣ ب م وخلفهُ ابناهُ كارينوس ونوميريان الاول في ايطاليا والآخر في الشرق فتقدم نوميريان من الشرق مع العساكر الذين كانوا مع ابيهِ في محاربة الفرس ومات في الطريق فاقام عساكرهُ ملكاً عليهم احد القواد اسمهُ ديوكليتيانوس سنة ٢٨٤ ب م فنرى المملكة الرومانية في مدة تسع سنين ملك عليها ستة ملوك وكانوا جميعهم في تعب وعناية الروح ومشقات كثيرة

ثم تقدم كارينوس الى محاربة ديوكليتيانوس وصارت الوقعة بينهما في ميسيا بقرب نهر دونو وكاد كارينوس ينتصر على خصيمهِ لو لم يقتلهُ قائد من قوادهِ لمرامٍ قديم كان لهُ عليهِ وكان ذلك سنة ٢٨٥ ب م

ثم ملك ديوكليتيانوس واظهر ذاتهُ مستاهلاً للملك وكان عاقلاً حاذقاً واخذ يغيّر تراتيب المملكة والاحكام فقسمها الى اربعة اقسام وولّى على كل قسمٍ والياً وساوى جميع الولاة قوةً وسلطاناً واشرك في الحكم احد القواد اسمهُ مكسيميانوس ولقبهُ

اوغسطس ثم اشرك ايضاً في الحكم قائد بن اسم الواحد غليريوس واسم الآخر قسطنطيوس ولقبهما القيصر بن فحكم غليريوس على ايليريا والبلاد المجاورة لنهر دونو وقسطنطيوس على اسبانيا وغاله وبريطانيا ومكسميانوس على ايطاليا وافريقيه وابقى لنفسهِ ثراقيا ومصر واقاليم اسيا وكان كلٌّ مستقلاً في القسم المختص بهِ غيران الجميع خافوا ديوكليتيانوس واعتبروا رضاهُ وسخطهُ وهكذا كان بالحقيقة راساً مع انهُ بالاسم قسم السلطنة بينهم وفي ملك هولاء حدث على المسيحيين اضطهادٌ شديدٌ سنين عديدة سُمّيَ الاضطهاد العاشر وكان اشدَّ ما قبلهُ اضعافاً وكاد المسيحيون يتلاشون بهِ وافتخر الملك بانهُ قد اباد الديانة المسيحية ورجَّع عبادة الآلهة وصكَّ عملةً تذكاراً لذلك. وبعض قطعٍ منها باقية الى الآن

وفي السنة الحادية والعشرين من ملك ديوكليتيانوس استعفى من الحكم وتبعهُ في ذلك مكسميانوس كرهاً عنهُ فوضعا عنهما الكرامة الملكية وتنازلا الى رتبة العوام وتركا المملكة بيد القيصرين ومضى ديوكليتيانوس الى وطنهِ في دلماطيا وبنى قصراً فاخراً وسكن هناك عدة سنين وكان يتسلّى بالعمل في بستانهِ وشهد على ذاتهِ انهُ وجد هناك من اللذة والسعادة ما لم يعرفهُ لما كان لابساً الارجوان الملكي وربما كان ذلك عائداً الى القناعة

ولما قام احد الربانيين اسمهُ كراوسيوس واختلس بريطانيا

وادّعى بالملك عليها تقدم قسطنطيوس الى هناك فقُتِل كراوسيوس بيد وزيرهِ الكتوس ثم خضعت البلاد لقسطنطيوس وتوفي بعد ذلك ببرهة يسيرة في بريطانيا ونودي باسم ابنهِ قسطنطين ملكاً في مدينة يورك سنة ٣٠٦ ب م ولم يقبل بذلك غليريوس بل انما اشرك في الحكم صاحباً لهُ اسمهُ سيفيروس ثم عاد مكسميانوس الذي كان قد استعفى كما مرّ وادّعى بالملك ومع ابنهِ مكسنتيوس حارب سيفيروس وقتلهُ واعطى ابنتهُ لقسطنطين امراة وبعد برهة يسيرة توفي مكسميانوس وغليريوس وبقي الملك بيد مكسنتيوس وقسطنطين

الفصل الخمسون

في تاريخ الرومانيين من تسلط قسطنطين الى بوليانوس

انهُ لم يمضِ كثيرٌ من الزمان حتى وقعت حربٌ بين قسطنطين ومكسنتيوس وقيل انهُ لما كان قسطنطين متقدماً لمحاربة خصمهِ راى رؤيا في السماء وهي صليبٌ منيرٌ مكتوبٌ عليهِ باللغة اليونانية هاتان الكلمتان (بهذا تنتصر) وبقرب هذا الوقت تلمذ للديانة المسيحية وكان خصمهُ غيوراً في عبادة الالهة وصارت الوقعة بينهما بقرب رومية فقتل مكسنتيوس وانتصر قسطنطين وبقي وحدهُ ملكاً على المملكة الرومانية سنة ٣١٢ ب م. وسنة ٣١٣ توفي ديوكليتيانوس في بيتهِ في سالونا من اعظم مدن دلماطيا . وكان غليريوس قد عيّن خليفةً لهُ رجلاً اسمهُ

ليسينوس وبقي هذا الرجل مدّعيًا بالسلطنة على اقاليم اسيا ولما انشأ اضطهادًا على المسيحيين جعل قسطنطين ذلك سببًا لمحاربتهِ فتقدَّم الى اسيا وانتصر عليهِ ثم القاهُ في سجنٍ واخيرًا امر بقتلهِ وعاد الملك الى شخصٍ واحدٍ وكان ذلك سنة ٣٢٤ ولما راى الملك قد استقر بيدهِ امر باغلاق الهياكل وتبطيل الذبائح الّا انهُ نادى في الشرق بالحرية المطلقة للاديان كافةً

ولما راى موقع مدينة بيزنطيوم حسنًا جدًّا ومناسبًا لقصبة مملكة اخذ في تزيينها وتوسيعها وسمَّاها القسطنطينية وكان ذلك بين سنة ٣٢٤ و ٣٣٤ ب م ثم نقل كرسي الحكم من رومية الى المدينة الجديدة وتبعهُ كثيرون من اهل رومية ثم اقتدى بعوائد ملوك الشرق فلبس تاجًا وتلقب بالقاب مفخمة واولم ولائم. ولما هجم سابور الثاني ملك فارس على الاراضي بين النهرين مضى الملك للقائهِ وانتصر عليهِ واذ كان راجعًا الى قصبتهِ عند وصولهِ الى مدينة نيكوميديا على الطرف الشرقي من بحر مرمرا مرض ومات في السنة الثالثة والستين من عمرهِ والثلاثين من ملكهِ وقد اختلف المؤرخون في اوصافهِ اذ نسب لهُ بعضهم جميع الاوصاف الحميدة وآخرون اعابوا ذكرهُ بجميع الخصال الرديئة

ثم انقسمت المملكة بين اولادهِ الثلاثة وهم قسطنطين الثاني وقنسطانس وقنسطنطيوس فوقع حربٌ بين قسطنطين وقنسطانس وقتل الاول وبقي الاخر ملكًا على الغرب وبعد برهة

قليلة قتلهُ رجلٌ من جرمانيا اسمهُ مغننطيوس وبقي الملك بيد قسطنطيوس ثم حارب قاتل اخيهِ وانتصر عليهِ فهرب الى غاله وهناك قتل نفسهُ. ثم ان قسطنطيوس عوض ان يناظر امور السياسة ويرتب ترانيب المملكة اخذ يصلح المجادلات الدينية التي تكاثرت حينئذٍ بين روساء الكنائس الذين كان كثيرون منهم مائلين الى تعاليم فلسفة اليونانيين وارادوا ان يستعملوا قواعدها في العقائد المسيحية وبنوا اشياء كثيرة من قواعد ايمانهم على الفلسفة عوض الكتب الالهية. واذ كان الملك ملتهيًا بامورٍ لم تعنِهِ هجم على المملكة في الغرب الغوث والفرانك وغيرهم من قبائل جرمانيا. والفرس ايضًا في الشرق. ثم اقام الملك يوليانوس ابن عمهِ واليًا على غاله فانتصر على قبائل جرمانيا وخلص اطراف المملكة من مهاجماتهم فخافهُ الملك وامرهُ ان يرسل جانبًا من عساكرهِ الى محاربة الفرس وعند ذلك نادت العساكر باسم يوليانوس ملكًا فتقدم الى ايطاليا التي سلمت لهُ ثم الى بلاد اليونان وفي هذا الوقت مات قسطنطيوس في كيليكية سنة ٣٦١ ب م وبقي الملك بيد يوليانوس. واذ كان قد درس الفلسفة اليونانية كثيرًا مال اليها اكثر من الديانة المسيحية وزاد زهدهُ ما رآهُ من شرور روساء المسيحيين ومخاصماتهم وعدم محبتهم بعضهم لبعضٍ وكثرة مجامعهم على ما لا طائل تحتهُ. فترك الديانة المسيحية ورجع عبادة الالهة ولذلك لُقب بالمرتد او الكافر وألَّف كتابًا

ضد الديانة المسيحية باقٍ بعض قطعٍ منهُ الى الآن. واخذ يجمع اليهود الى اورشليم وابتدا بعمار هيكلهم لكي يبين بذلك فساد الكتب المقدسة. قال اميانوس احد مورخي الامم الذي عاش في تلك الايام انهم اذ كانوا يحفرون الاساس خرجت نارٌ من الارض وحرقت الفعلة وسمعوا رعودًا وراوا شرارات نارية تخرج من الصخور فكفوا عن العمل

ولما ذكر يوليانوس ما اصاب المملكة من قبل الفرس اخذ على نفسهِ ان ينتقم منهم فتقدم الى نهر الدجلة وقُتِل هناك في وقعةٍ معهم في السنة الحادية والثلاثين من عمرهِ والثانية من ملكهِ سنة ٣٦٢ ب م

الفصل الحادي والخمسون

تاريخ الرومانيين من تسلط يوڤيانوس الى ثيودوسيوس

انهُ بعد وفاة يوليانوس انتخب الجانيين عليهم رجلاً مسيحيًا من قوادهم اسمهُ يوڤيانوس فانهى الحرب مع الفرس بتسليم بعض اماكن بين النهرين لايديهم ثم عاد الى انطاكية واخرج امرًا باطلاق الحرية في الامور الدينية وجعل الوثنيين والمسيحيين على حدٍّ سوى. ثم تقدم نحو القسطنطينية وعند وصولهِ الى داداستانه وهي مدينة صغيرة على الحد بين غلاطيا وبيثينيه وُجِد في الصباح ميتًا في فراشهِ بعد ان ملك سبعة اشهر سنة ٣٦٤ ب م

ثم انتخب العساكر ملكًا رجلاً من القواد اسمهُ ولنتينيانوس

فاشرك في الحكم اخاهُ فالانس واعطاهُ الجزء الشرقي من المملكة واخذ لنفسهِ الجزء الغربي وتقدم الى غالة وحارب القبائل البربرية وانتصر عليها. واما في الشرق فبقيت الحروب مضطرمة بين فالنس والغوث الذين حلوا في داسيا وانقسموا حينئذٍ الى استروغوث اي الغوث الشرقية وهم الذين سكنوا على الشطوط الغربية من البحر الاسود والى وسيغوث اي الغوث الغربية الذين سكنوا على جانبي نهر دونو

وسنة ٣٧٥ ب م توفي ولنتينيانوس في جرمانيا وخلفهُ ابنهُ غراطيان وكان عمرهُ يومئذٍ ست عشرة سنة. وسنة ٣٧٦ هجم على المملكة الشرقية قبائل متوحشة من سيبيريا اومن بلاد التتر سُمُّوا الهون وكانوا قبل ذلك قد هجموا مرارًا عديدة على بلاد الصين فبنى الصينيون السور المشهور شماليّ بلادهم لكي يمنعوا نزول هولاء البرابرة عليها فاتوا اولاً على الغوث الغربية وطردوهم فطلبوا من الرومانيين ان يعطوهم ملجأً في بلادهم فاجابهم فالنس واسكنهم في ثراقيا. ثم اتى الغوث الشرقيون ايضًا وطلبوا ملجأً فخاف فالنس من عاقبة دخول قوم كبير كهذا الى بلادهِ. فلم يجب طلبهم فتقدموا كرهًا عنهُ وسكنوا ايضًا في ثراقيا فاستغاث فالنس بسابور ملك الفرس على الغوث وصارت وقعة بينهم بقرب مدينة ادريانوبولس فانتصر الغوث وقُتِل فالنس. واذ لم يبقَ من يقاوم هولاء الغرباء تقدموا الى بنونيا واخائية ولم يسلم

منهم الاَّ بعض المدن لان الغوث لم يعلموا كيفية محاصرة الحصون

وسنة ٣٧٩ ب م اتى غراطيان الى القسطنطينية واشرك في الحكم رجلاً شهيراً وقائداً شجاعاً اسمهُ ثيودوسيوس فانتصر على الغوث وفرَّقهم واسكنهم في اماكن شتى في ثراقيا واسيا الصغرى. واما غراطيان فعاد الى الغرب وسكن في غاله وترك الشرق بيد ثيودوسيوس وسنة ٣٨٣ هاجت فتنة في اللجائين الذين في بريطانيا فملكوا قائدهم مكسيموس. ثم تقدم مكسيموس الى غاله فهرب غراطيان الى مدينة ليون وادركهُ هناك قائد فرسان مكسيموس فقتلهُ

ثم عقد ثيودوسيوس الصلح مع مكسيموس تحت شرط بقائهِ في الاقاليم الواقعة غربًا من جبال ألپا وتسليم ايطاليا وايليريا وافريقية الى ولنتينيانوس الثاني اخي غراطيان فنقض مكسيموس العهد وتقدَّم الى رومية واخذها فهرب ولنتينيانوس الى تسالونيكي وتقدم ثيودوسيوس الى لقاء مكسيموس فصارت الوقعة بينهما في پنونيا وانتصر ثيودوسيوس وقُتِل مكسيموس ثم رجع المملكة الغربية الى يد ولنتينيانوس الذي قُتِل بعد برهة يسيرة في فتنة هيجها اربوغستيس احد القواد فحاربهُ ثيودوسيوس وانتصر عليهِ واستقرَّت المملكة كلها بيدهِ سنة ٣٩٤ ب م

ثم ان ثيودوسيوس غار للديانة المسيحية وجعلها ديانة المملكة ونهى عن عبادة الاوثان وامر بتبطيل تقديم الذبائح للالهة

وباغلاق هياكلهم غيرانهُ اذ كان رجلاً عسكريًا وكانت معرفتهُ بالامور الدينية قليلة قادهُ اكليروس الزمان وسلم للذين كانوا حولهُ منهم وتوفي في مدينة ميلان سنة ٣٩٥ ب م

الفصل الثاني والخمسون

في انقسام الدولة الرومانية الى سلطنتين وانقراض الغربية منهما

كان لثيودوسيوس المذكور ولدان اسم الواحد اركاديوس والاخر هونوريوس فقسم بينهما المملكة وجعلها امبراطوريتين مستقلتين امبراطورية المشرق وكرسيها القسطنطينية وامبراطورية المغرب وكرسيها رومية فتولى هونوريوس على المغرب واركاديوس على المشرق. وكان لاركاديوس وزير اسمهُ روفينوس ولهونوريوس وزير اسمهُ استليخو وفي عصرهما نزلت قبائل الهون من جبال كوه قاف وافسدوا ارمينية وكبدوكية وكيليكية وسورية وهجم الغوث ايضًا تحت ملكهم الاريك على اليريا والمورا واخذوا مدينة اثينا. ثم تقدم الاريك الى ايطاليا فلاقاهُ استليخو وانتصر عليهِ. وبعد وفاة استليخو اتى الاريك ثانيةً واستفتح عدة مدن في ايطاليا ثم حاصر رومية ذاتها فذاق اهلها جميع بلايا الحصار من جوع وخوف ووبأ الى ان استُفتحت فسلمها الاريك للنهب وعزل هونوريوس عن الملك. ثم توفي الاريك وكان للغوث عادة ان يخفوا قبور مشاهيرهم فحفروا ترعة على جانب نُهَير وادارو ماءهُ اليها وقبروا ملكهم في وسط النهر ثم اعادوا الماء

الى مجراهُ الاول . وخلفهُ اخوهُ وتقدم الغوث الى جنوبي غاله والى اسبانيا واسَّسوا مملكة الغوث في تلك البلاد . ولما راى اهل بريطانيا ما كان طرحوا عنهم نير الرومانيين واصبحوا مستقلين سنة ٤٠٩ ب م

وسنة ٤٠٨ ب م توفي الملك اركاديوس في الشرق وخلفهُ ابنهُ ثيودوسيوس الثاني وكان عمرهُ حينئذٍ سبع سنين فحكمت باسمهِ اختهُ فلخيريا وبقيت على ذلك اربعين سنة وكانت تلك المدة خالية من الحروب والاضطراب . وكان قومٌ من قبائل جرمانيا تسمَّوا الوندال قد عبروا من اسبانيا الى افريقيا وفي ذلك العصر استقلوا هناك تحت ملكهم جنسريك واخذوا املاك الرومانيين في الشمال الغربي من افريقية

وسنة ٤٢٣ توفي هونوريوس ملك الغرب وخلفهُ ابن عمهِ ولنتينيانوس الثالث

اما ثيودوسيوس الثاني فالتزم ان يحارب قبائل الهون الذين كانوا حينئذٍ تحت حكم ملكهم اطيلا فارضاهُ ثيودوسيوس بدفع مبلغ وافر من المال . ثم مات ثيودوسيوس الثاني سنة ٤٥٠ وتزوجت اختهُ فلخيريا برجلٍ شريفٍ اسمهُ مرسيانوس ورقتهُ الى الملك على المملكة الشرقية . اما اطيلا فهجم على غاله فلاقاهُ ايتيوس قائد الرومانيين في تلك النواحي واجتمع الى لوائهِ الوسيغوث وانتصروا على اطيلا ثم تقدَّم الى ايطاليا وارضاهُ

ولنتنيانوس بدفع مبلغ وافر من المال ومات بعد ذلك ببرهة يسيرة سنة ٤٥٣ وانقسمت املاكه المتسعة بين بنيه وتلاشت بالحروب بينهم

وسنة ٤٥٥ توفي ولنتنيانوس الثالث ملك الغرب وخلفه رجل شريف اسمه بترونيوس مكسيموس وبعد ان ملك ثلثة اشهر قُتِل في مهاجمة الوندال على رومية تحت امر ملكهم جنسريك الذي سلمها للنهب مدة احد عشر يومًا فعدمت بذلك كثيرًا من غرائبها ومحاسنها ومكاتبها التي كانت قد بقيت بعد نهبها في زمان الاريك كما تقدم ثم عادوا الى افريقيا وملك على الغرب رجل اسمه افيطوس

اما مرسيانوس ملك الشرق فبعد وفاته ترك الملك بيد ليون وبعد وفاة هذا ملك رجل شرير اسمه زينون من سنة ٤٧٤ الى ٤٩١ وانعزل افيطوس عن الملك في الغرب وخلفه رجل اسمه ماجوريانوس وكان صالحًا عادلاً واصلح احوال المملكة في امور كثيرة ثم توفي سنة ٤٦١ ب م وخلفه سيفيروس وبعد وفاته خلفه انثيميوس سنة ٤٦٧ وفي ملكه استقل الوسيغوث في غاله واسبانيا ثم قام عليه رجل شريف اسمه اوليبريوس وهجم على رومية وقُتِل انثيميوس وملك اوليبريوس مكانه سنة ٤٧٦ وتوفي في تلك السنة بعد ان ملك سبعة اشهر وخلفه نبوس بمساعدة ليون ملك الشرق فارسل قائده اورستيس

لكي يحارب اوريك ملك الوسيغوث فقام هذا على ملكهِ وعزلهُ وملك عوضاً عنهُ ابنهُ الذي سُمّي اوغسطولوس اي اوغسطس الصغير سنة ٤٧٦. وفي هذه السنة ذاتها قام عليهِ اودواسير ملك قبيلة الهيرولية وهم فرعٌ من الغوث وعزلهُ عن الملك ولقّب ذاتهُ ملك ايطاليا. وهكذا انتهت المملكة الرومانية في الغرب بعد ان بقيت من وقت بناء المدينة ١٢٢٤ سنة

الفصل الثالث والخمسون

في تاريخ المملكة الشرقية من عصر زينون الى انقلابها سنة ٦٢٧

اما زينون ملك الشرق فكان وقتئذٍ في محاربة الاستروغوث الساكنين في ثراقيا وبنونيا كما تقدم فأذن لملكهم ثيودوريك ان يحارب اودواسير وان يملك عوضاً عنهُ اذا انتصر عليهِ فهجم الاستروغوث على ايطاليا وقُتِل اودواسير وبقي الملك بيد ثيودوريك الذي جعل اقامتهُ بمدينة رافنّا وبعد وفاتهِ خلفهُ حفيدهُ اثالاريك سنة ٥٢٦ وكان زينون ملك الشرق قد توفي سنة ٤٩١ وخلفهُ انستاسيوس الذي توفي سنة ٥١٨. قبل عمر اسوار مدينة حماه في اول سنة من ملكهِ. وخلفهُ يوستينوس الاول. وبعد وفاة هذا خلفهُ ابن اخيهِ المسمى يستنيانوس سنة ٥٢٧ الذي ملك ٣٨ سنة و٧ اشهر و١٢ يوماً واصلح احوال المملكة ورتّب شرائع جديدة سُمّيت الشرائع اليوستنيانية وقد بُني عليها اكثر شرائع بلاد اوروبا في ايامنا هذه ولما وقع حربٌ بينهُ وبين الفرس

ارسل القائد بليساريوس الذي انتصر عليهم اولاً ثم انتصروا عليهِ ثم عقد الصلح مع كسرى ملك الفرس بدفع مبلغ وافر من المال . ثم ارسل بليساريوس الى افريقيا فانتصر على الوندال هناك ثم ارسلهُ الى ايطاليا فانتصر على اتلاريك ملك الاستروغوث واخضع ايطاليا الى اطاعة ملكهِ ثم قاموا تحت ملكهم طوطيلا واستخلصوا الملك فارسل يوستنيانوس القائد نارسيس الذي انتصر عليهم وقتل طوطيلا في الحرب وتولى نارسيس على ايطاليا ثلاث عشرة سنة

وكان منذ ايام اوغسطس وتراجانوس قومٌ متبربرون ساكنين في جرمانيا بين نهري البا واودر تسمَّوا اللمبارد وفي عصر يوستنيانوس تقدموا الى الجنوب وافسدوا اماكن كثيرة على شطوط بحر ادريا وما يليها . وافسد السقالبة ايضاً الاقاليم الواقعة بين البحر الاسود وراس خليج ادريا على جانبي نهر دونو وفي عصرهِ ايضاً انحدر الاتراك من بلاد التتر والجبال المجاورة بحر قزبين ووصلوا الى اطراف المملكة الرومانية في جنوبي جبال كوه قاف وكان ملك الفرس يومئذٍ كسرى انوشروان المشهور في تواريخ العرب الجاهلية لما جرى من الحروب بينهُ وبين قبائلهم وهو الذي انتصر على بليساريوس وافسد برَّ الشام كما تقدم وفي هذا العصر ايضاً اشتهر الحبش تحت ملكهم نبغوس واستفتحوا بعض اماكن في برّ العرب فارسل يوستنيانوس رسلاً

وعقد معهم صلحًا

وسنة ٥٦٥ توفي الملك يوستنيانوس وخلفهُ ابن اخيهِ يوستين الثاني فعزل نارسيس من ولاية ايطاليا فتقدم قبيلة اللمبارد المشار اليها سابقًا واستولوا على ايطاليا سنة ٥٦٨ ومن ثمَّ لم يعُد يتسلط عليها ملك من ملوك الرومانيين وبقيت مملكة اللمبارد في ايطاليا مئتين وست سنين الى سنة ٧٧٤ حين استفتحها كارلوس الكبير ملك فرنسا واضافها الى المملكة الجديدة التي انشاها في الغرب

وفي ملكهِ هجم الفرس على برّ الشام واحرقوا مدينة افاميه

وسنة ٥٧٨ توفي يوستين الثاني وخلفهُ احد القواد اسمهُ طيباريوس الثاني وتوفي سنة ٥٨٢ وعيَّن خليفةً لهُ احد مشاهير الوقت اسمهُ ماوريس . وكان كسرى انوشروان ملك الفرس قد توفي سنة ٥٧٩ وخلفهُ ابنهُ هرمز الى سنة ٥٩٠ وقام عليهِ احد خدامهِ اسمهُ بهرام وقام اكابر البلاد وعزلوا هرمز وملَّكوا عوضًا عنهُ ابنهُ كسرى ولكنهُ التزم ان يهرب من قدام بهرام المذكور فالتجأ الى الملك ماوريس الذي قبلهُ وارسل معهُ جنودًا وقوَّادًا تحت امر نرسيس فانتصروا على بهرام الذي هرب الى الاتراك الحالين حينئذٍ شرقي بحر قزبين ومات هناك وجلس كسرى على كرسي الملك سنة ٥٩١

وسنة ٦٠٢ هاجت فتنة قوية في العساكر فملكوا احد قوادهم

اسمهُ فوخاس وقتلوا ماوريس وجميع اولادهِ . اما فوخاس فكان ظالماً شريراً فمات سنة ٦١٠ وخلفهُ ابن ابنتهِ اسمهُ هيراكليوس وكان فوخاس قد قتل نرسيس وعند ذلك هجم كسرى ملك الفرس على الاراضي بين النهرين واستفتح اكثر مدنها واخذ مدينة حلب وتقدَّم الى انطاكية وعند ما ملك هيراكليوس أُخبِر بان كسرى قد فتح مدينة انطاكية ايضاً ومن ثم تقدَّم الى الجنوب واخذ دمشق واورشليم ونهبها وحرق كنيسة القيامة ثم اخذ مصراً ايضاً سنة ٦١٦ وفي ذات هذه السنة فتح اسيا الصغرى كلها وجزيرة رودس ولم يفصل بينهُ وبين القسطنطينية ذاتها الاَّ البوغاز الفاصل بين اسيا واوروبا . ومن الجهة الاخرى كان هيراكليوس في خوف عظيم من قبائل الافار الذين كانوا قد تقدموا من روسيا وبلاد الجركس وافسدوا الاقاليم المجاورة للقسطنطينية ذاتها . واذ كان هيراكليوس في هذه البلايا ارضى كسرى بدفع مبلغ وافر من المال والوعد بجزية سنوية ثم ابتدا يستعد للحرب وسنة ٦٢٢ صارت وقعة بينهُ وبين الفرس في كيليكية فانتصر عليهم ومن ثمَّ الى سنة ٦٢٦ انتصر عليهم في عدة وقعات وطردهم الى شرقي نهر الدجلة . ثم في سنة ٦٢٦ جمع كسرى جيشهُ ومع قبائل الافار المذكورة سابقاً حاصر القسطنطينية فانتصر عليهم اهلها وطردوهم وكان هيراكليوس وقتئذٍ في اسيا الصغرى حيث انتصر على الفرس ثم تقدم الى ناحية الموصل

وصارت هناك وقعة عظيمة بقرب موقع خراب نينوى وكانت النصرة لهيراكليوس وذلك سنة ٦٢٧ فهرب كسرى ثم قام عليهِ ابنهُ سرويس وقتلهُ وملك عوضاً عنهُ سنة ٦٢٨ ب م ثم انعقد الصلح بين الفئتين وعاد الملك الى قصبتهِ غالبًا منصورًا . ثم اهمل ادارة الاحكام وانهمك في المجادلات الدينية وفي اثناء ذلك افتتح المسلمون في ايام خلافة ابي بكر مدينتي اورشليم ودمشق واستولوا على جانب كبير من سوريه وكانت مدة حكمهِ احدى وثلثين سنة وكان نائبهُ على مصر المقوقس الذي حاربهُ عمرو بن العاص في ايام خلافة عُمر بن الخطاب وافتتح منهُ البلاد

الفصل الرابع والخمسون

في تاريخ العرب قبل الاسلام

قد أُطلق على العرب قبل الاسلام اسم الجاهلية لان اكثرهم عبدوا الاصنام على مذهب الصابيين غير انهُ وُجد بينهم في اماكن متفرقة كثيرون من اليهود والمجوس والنصارى . اما الديانة الصابية فابتدأت بين نسل نوح في ارض الكلدانيين فانهم اذ نظروا الى علو شان الله تعالى وعظمتهِ والى دناءة نفوسهم ودنسها لم يتصور عندهم امكان التقدم اليهِ الا على يد وسيطٍ نصير بشفاعتهِ صلاتهم مقبولة لديهِ تعالى واذ لم يكن قد استُعلِن لهم جليًا حسب ارادتهم الوسيط الذي اقامهُ الله بين نفسهِ والبشر جعلوا لنفوسهم اولياء مَن ارادوا لكي يتوسطوا بينهم وبين

الله . واذ ظنوا بالشمس والقمر وغيرها من الاجرام السموية انها اجسام او مساكن ارواح كما ان الجسم مسكن للنفس الانسانية . وان تلك الارواح لها المقام الاوسط بين الله والبشر فحسبوها مناسبة لتكون وسطاء لهم عند ربهم فاخذوا في عبادتها وعند طلبهم من احداها يتوجهون الى الجهة التي كانت فيها ولما غابت عن النظر تحت الافق نصف الوقت جعلوا لها صوراً وتماثيل حاسبين توجيه الطلب الى تمثال كتوجيهه الى المشار اليه بواسطة ذاك التمثال وسموا التماثيل باسماء السيارة كعطارد والزهرة والمشتري والمريخ وهلمّ جرّاً ولما كرسوا هذه التماثيل استعملوا احتفالاً عظيماً لكي يجلبوا اليها ارواح النجوم التي صُنِعت لها والتي ظنوا انها سكنت التمثال بعد تكريسه واما المجوس فلم يستعملوا صورةً ولا تمثالاً بل انما عبدوا الله تحت صورة النار فقط

ثم ان العرب الجاهلية كانوا على انواعٍ من مذهب الصابين في عبادتهم وحسبوا الهتهم ذكوراً واناثاً . ومنهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني. ومنهم من اعترفوا بالخالق وانكروا البعث. وكان لهم في صنعاء اليمن هيكل للزهرة سُمّي بيت غمدان الذي خربهُ الخليفة عثمان وقيل ان الكعبة في مكة بُنِي هيكلاً لزحل وقيل ان حمير عبدوا الشمس وميسام الدبران ولخم وجذام المشتري وطي سهيلاً وقيس الشعرى اليماني واسد عطارد ومن الالهات التي سموها ايضاً بنات الله

اللات والعزّى ومناة اما اللات فلثقيف في الطائف حيث كان لها هيكلٌ سُمّي النخلة فخربهُ مغيرة وابو سفيان في السنة التاسعة للهجرة . اما العزّى فلقريش وكنانة وجانب من سليم اما مناة فلهذيل وخزاعة الحالّين بين مكة والمدينة وقيل انها للاوس والخزرج ايضاً قيل انها صخرة عظيمة وخربها رجلٌ اسمهُ سعد في السنة الثامنة للهجرة. ومن مناة وادي مِنًى بقرب مكة. ومن المنهم ود لكلب في دومة الجندل ومنها سواع لهمذان وقيل لهذيل تحت صورة امرأة . ومنها يغوث لمذحج وقبائل اليمن وهو على صورة سبع. ومنها يعوق لمراد وقيل لهمذان قيل كان رجلاً تقيًا ولما رثاهُ الناس بعد وفاتهِ ظهر الشيطان في صورة بشر الى اصحابهِ وصنع اصناماً تشبه المتوفّى غاية المشابهة وحرضهم ان يجعلوها في هياكلهم لكي يقتدوا بهِ في تقواهُ ففعلوا كذلك ثم بعد حين عبد نسلهم الصنم ذاتهُ ومنها نسر لحمير في مكان سُمّي ذا الكلاع وهو صنم على صورة نسر وفضلاً عما ذُكِر كان لهم الهة واصنام كثيرة لايمكننا ان نذكرها ولكل انسانٍ منهم الهة في بيتهِ وثلاث مئة وستون صنماً في الكعبة في مكة اعظمها هبل قيل اتى بهِ عمرو بن لحي من الشام قيل كان تمثال رجل من الكركند الاحمر وقد انكسرت يدهُ فجعل لهُ القريش يدًا من ذهب وأُتي ايضاً من برّ الشام بصنمين آخرين وهما اساف على صورة رجلٍ ونائلة على صورة امراة وجُعِل الاول على جبل الصفا بقرب مكة

والثاني حذاء الاول على جبل مروة. وكان لقبيلة حنيفة اله من عجين ولكن لم ياكلوهُ الى ان اضطرَّهم الى ذلك شدة الجوع والقحط

واذ كان العرب مجاورين الفرس دخلت بينهم الديانة المجوسية وخاصة في قبيلة تميم ولذلك وجد بينهم كثيرون اعتقدوا بالتناسخ اما اليهود فاذ خافوا من الرومانيين هرب كثيرون منهم الى بلاد العرب وربما سكن بعضهم هناك قبل ذلك وقيل ان رجلاً اسمهُ ابو قرد اسد من حمير الذي ملك في اليمن قبل الاسلام بسبع مئة سنة تدين بديانة اليهود وادخلها بين بني حمير ومن نسلهِ يوسف الملقب ذا نواس الذي انشأ اضطهاداً عظيماً على كل الذين لم يهودوا ورماهم في أُخدود اوقدت فيهِ نارٌ قوية ومن ثم لُقِب صاحب الاخدود وهاد ايضاً جانبٌ من كنانة وكندة ونفوذوا وملكوا عدَّة مدنٍ وحصون. وقد تديَّن بالديانة المسيحية جانبٌ من حمير وغسَّان وربيعة وتغلب وبهراء وتنوخ وطي وقضاعة واكثر اهل نجران والحيرة

الفصل الخامس والخمسون

في بعض حوادث الجاهلية

قيل ان عبد شمس الملقب سبا بنى في مدينة مارب سدًّا عظيمًا وجرَّ اليهِ سبعين نهرًا وساق اليهِ السيول من امدٍ بعيد وكان هذا السدُّ يعلو مدينتهم مثل جبل شامخ وبُني كثيرٌ منها على جدرانهِ وتفرَّق الماء الى جميع بيوتها بواسطة قنوات . قيل

انها بقيت على ذلك الى بعد عصر اسكندر الكبير ثم حدث طوفانٌ قويٌّ وهدم السدَّ ليلاً وهلك بهِ كثيرون من اهل المدينة وسُمّيت هذه الحادثة سيل العرم. وتفرق بعد ذلك قبائل اليمن فالتزم تسع قبائل ان يتركوا مساكنهم فمنهم من حلَّ في العراق حيث انشأوا مملكة الحيرة ومنهم من اتى الشام وأسَّسوا دولة الغساسنة في دمشق ومنهم من تقدم الى بين النهرين وهم بكر وربيعة ومضر وسُمّيت مواطنهم ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر الى اليوم والذين بقوا في اليمن كانوا تحت حكم ملوكٍ منهم

قيل ان بختنصر ملك بابل غزا العرب في زمان معدّ بن عدنان فقصدهُ طوائف من العرب مسالمين فاحسن اليهم وانزلهم شاطئ الفرات وبنوا موضع معسكرهم وسمّوهُ الانبار واستمرّوا كذلك مدة حيوة بختنصر

وقيل ان العرب طمعوا في ارض الفرس في صبا سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن هرمز بن سابور بن ازدشير بن بابك وخرّبوها فلما بلغ سابور من العمر ست عشرة سنة انتخب من فرسان عسكره عدة اختارها وسار بهم الى العرب وقتل من وجدهُ الى الحسا والقطيف وشرع بقتل ولا يقبل فداء ثم سفك دماء كثيرة من تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ثم سار الى اليمامة وسفك بها دماء كثيرة ولم يمر بماء للعرب الاَّ وغورهُ ولا ببئرٍ الاَّ وطمّها . ثم عطف على ديار بكر وربيعة بين مملكة

فارس ومملكة الروم وصار ينزع اكتاف العرب فسمي سابور ذا الاكتاف وصار ذلك لقبًا له . وهو الذي حارب الرومانيين وانتصر عليهم في عصر يوليانوس الملحد

الفصل السادس والخمسون

في ملوك اليمن

قيل انهُ لما انتهى ملك اليمن الى ذي نواس الحميري هاد وكل من لم يتبع دين اليهود رماهُ في اخدود النار واضطهد المسيحيين في تلك النواحي اضطهادًا شديدًا فارسل ملك الحبش جيوشًا لانقاذهم من شرور هذا الظالم فانتصروا عليهِ فساق فرسهُ الى البحر ومات غرقًا وكان ذلك سنة ٧٠ تقريبًا قبل الاسلام وملك بعد ذلك على اليمن اربعة من الحبشة وثانيهم ابرهة الاشرم الذي قيل انهُ جاء بجيوش وافيال لكي يهدم الكعبة كما أُشير اليهِ في سورة الفيل ثم ملك ابنهُ مسروق وفي عصرهِ قام سيف بن ذي يزن الحميري وطلب المعونة من الملك هيراكليوس على الحبشة فلم يوافقهُ على ذلك . ثم قصد كسرى انوشروان فاجابهُ وارسل معهُ جيوشًا وطرد الحبشة وقرر سيف بن ذي يزن في ملك اليمن وقتل ملكهم مسروق بن ابرهة الاشرم ولما استقر في ملك اجدادهِ جلس في بيت غمدان يشرب وامتدحتهُ العرب بالاشعار وكان سيف المذكور قد اصطفى جماعة من الحبش وجعلهم من خاصتهِ فاغتالوهُ وقتلوهُ . ثم ارسل كسرى

عاملاً على اليمن واستمرّت عمّالهُ على اليمن الى ان كان آخرهم باذان الذي كان عند ظهور الاسلام واسلم ثم صارت اليمن للمسلمين

الفصل السابع والخمسون
في مملكة الحيرة

ان مملكة الحيرة ابتدأت بعد مضي بعض قبائل اليها بعد سيل العرم كما ذُكِر وكان اول ملوكهم مالك بن فهم وتنتهي نسبتهُ الى الازد بن كهلان بن سبا وكان وقتئذٍ اكثر طوائف العرب مستقلة كل طائفة لها حكام من ذاتها وملك بعدهُ جذيمة الابرش وكان بهِ برص فكره العرب ان يسموهُ ابرص فكنّوا عنهُ بالابرش وعظم شأنهُ ويشار اليهِ كثيرًا في اشعارهم. قبل كان قد ملك الجزيرة واعالي الفرات ومشارق الشام رجلٌ من العمالقة اسمهُ عمرو بن الضرب بن حسان العالقي وجرت الحروب بينهُ وبين جذيمة فانتصر عليهِ جذيمة وقتلهُ وكان لعمرو المذكور بنتٌ لُقِبت بالزبّاء واسمها نائلة وملكت بعدهُ وعمّرت على الفرات قصرًا عظيمًا وقصد جذيمة ان يتزوّج بها فاجابتهُ على ذلك ولما اتاها قتلتهُ واخذت بثار ابيها. ثم ملك على الحيرة عمرو ابن اخت جذيمة وكان لجذيمة عبدٌ اسمهُ قصير فاتفق مع عمرو بان جدع انفهُ وضربهُ بالسياط فحضر قصير الى الزبّاء على تلك الحالة فامنتهُ وسلمتهُ متجرها فجعل يتاجر لها الى ان ادخل الى قصرها

رجالاً متسلحين كان قد وضعهم في صناديق وحملها على جمال كانها متجر . ثم خرج الرجال من الصناديق وقتلوا الزبّاء وضُرِب بذلك المثل لماذا جدع قصير انفهُ

وكان عمرو المذكور من ولد لخم بن عديّ بن عمرو بن سبا وهو اول ملوك اللخميين على الحيرة الذين لُقّبوا بالمناذرة فمنهم امرء القيس بن عمرو وعمرو بن امرء القيس في عصر سابور ذي الاكتاف ومنهم النعمان الاعور وهو الذي بنى الخورنق والسدير في الكوفة وبعد ان ملك ثلثين سنة تزهّد وخرج عن الملك وملك بعدهُ المنذر بن النعمان وبعدهُ الاسود بن المنذر وهو الذي انتصر على ملوك غسّان اصحاب الشام واسر عدّة منهم . ومنهم علقمة الذميلي وذميل بطنٌ من لخم ومنهم المنذر بن امرء القيس واسم امهِ ماوية بنت عوف بن جشم ولُقّبت بماء السماء لحسنها وسمي المنذر ابن ماء السماء وملك في زمان كسرى قباذ ملك الفرس فطمعت العرب بارض الفرس واستولت كنده على الحيرة وطردوا اللخميين منها وملك عوض المنذر المذكور الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي . ثم بعد وفاة كسرى قباذ ملك على الفرس كسرى انوشروان فطرد الحارث من ملك الحيرة واعاد اليهِ المنذر ابن ماء السماء . ومنهم النعمان بن المنذر بن ماء السماء وكنيتهُ ابو قابوس وهو الذي تنصر وبعد ان ملك اثنتين وعشرين سنة قتلهُ كسرى برويز وبسبب قتلهِ كانت وقعة

ذي قار بين العرب والفرس

ثم انتقل ملك الحيرة من اللخميين الى اياس بن قبيصة الطائيّ وبعده اياس الهمذاني ثم عاد الملك الى اللخميين وملك المنذر بن النعمان وسمّتهُ العرب المغرور واستمرَّ ملكًا عليها الى ان صارت الحيرة للاسلام على يد خالد بن الوليد وفي السنة السابعة عشرة للهجرة خربت الحيرة وبُنيت على ظهرها الكوفة بامر الخليفة عمر بن الخطاب على يد سعد بن ابي وقّاص

الفصل الثامن والخمسون

في الدولة الغسّانية

اصل هذه الدولة من اليمن من بني الازد بن كهلان بن سبا تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسّان فنُسبوا اليهِ. وكان بالشام قبلهم عربٌ يقال لهم الضجاعمة من سليح بن قضاعة بن حمير فاخرجت غسّان سليحًا من ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم. واول من ملك منهم جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مزيقيا. وبعد ما استفتح الرومانيون بر الشام كان الغساسنة عمالاً لهم كما كان المناذرة عمالاً للفرس على الحيرة وكان اسم خمسةٍ منهم الحارث فصار لقبًا عليهم. وكتب الرومانيون هذا الاسم بلغتهم اراطا او اراطاس وفي زمان احدهم هرب الرسول بولس من دمشق كما ذكر في اع ٩: ٢٤ و٢ كو ١١: ٣٢ وكان بعضهم نصارى وبنوا ابنية كثيرة في دمشق والاماكن

المجاورة لها. وآخر ملوكهم جبلة بن الايهم وهو الذي اسلم في خلافة عمر وصارت الشام للاسلام ثم اغتاظ من الخليفة وعاد الى الديانة المسيحية ومضى الى القسطنطينية ومات هناك

الفصل التاسع والخمسون

في بقية قبائل العرب

ان بقية قبائل العرب كانوا تحت حكم ملوك او حكام منهم . ومن اشهرها كندة واول ملوك كندة حجر آكل المرار من ولد يزيد بن كهلان . وكانت كندة قبل ذلك بدون ملك يأكل القويُّ منهم الضعيف ولُقِّب آكل المرار لقول امرأته فيه كأنهُ جمل قد اكل المرار لبغضها له . ومن نسله الحارث المذكور سابقاً الذي طرد اللخميين من الحيرة في زمان كسرى قباذ وعظم شان الحارث وتسلط على عدة من قبائل العرب مثل كلب واسد وبكر وتغلب والنمر وملَّك الحارث ابنهُ حجر على بني اسد . فاستنجد امرؤ القيس ببكر وتغلب لكنهم تفرقوا عنهُ خوفاً من المنذر ابن ماء السماء . ثم اقام حيناً عند السموأل مالكٍ يهوديّ وبعد ذلك قصد قيصر مستنجداً بهِ ومرَّ على حوران وبعلبك وحمص وحماه وشيزر وفي صحبتهِ رجلٌ من بني يشكر اسمهُ عمرو بن قمئة . ولما عاد من عند قيصر وصل الى مكان سُمّي جبل العسيب ومرض ومات هناك واصابهُ في مرضهِ قروحٌ كثيرة في بدنهِ وقيل كان ذلك من قِبَل حلَّةٍ مسمومةٍ البسهُ اياها قيصر

ومن ملوك الطوائف في الحجاز عمرو بن لحي من ولد الازد بن كهلان. وهو الذي اتى بالاصنام من بلقاء في الشام ووضعها في الكعبة واغرى العرب على عبادتها. ومن ملوك العرب زهير الكلبي ولُقِّب الكاهن لصحة رايهِ وكان في عصر ابرهة الاشرم الحبشي صاحب الفيل. ومنهم كليب بن ربيعة ينتهي نسبهُ الى ربيعة الفرس من ولد عدنان واسمهُ وائل وكُليبٌ لقبٌ غلب عليهِ ولما تقوّى وتعظَّم شرع يظلم العرب وكان يحمي عليهم مواقع السحاب فقتلهُ رجلٌ اسمهُ جساس وسبب ذلك ان رجلاً من جرم نزل على البسوس خالة جساس وكان للجرمي ناقة اسمها شراب فوجدها كليب ترعى في حماهُ فضربها بالنشاب واخرم ضرعها وجاءت الناقة الى الجرمي على تلك الحالة فصرخ بالذل فلما سمعتهُ البسوس وضعت يديها على راسها وصاحت واذلاهُ فاستنصر جساس لخالتهِ وقصد كليبًا وهو منفردٌ في حماهُ وطعنهُ بالرمح فقتلهُ. ثم قام مهلهل اخو كليب وجموع قبائل تغلب وبكر فاضطرمت حرب البسوس التي استمرت سنين كثيرة واشتبك فيها اكثر قبائل العرب. ولذلك ضرب المثل في شؤم البسوس هذه فقالوا اشأم من البسوس

فهرس عام